لقاء العشر الأواخر
بالمسجد الحرام
(٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦)

تلقيح الأسرار بلوامع الأنوار للعلماء الأبرار

ويليه

حياة القلوب وعمارة الأنفاس في سلوك الأذكياء الأكياس

ويليه

عمدة الطلاب من مؤمني أهل الكتاب

تأليف
الإمام الزاهد الناسك، والعالم العابد السالك
عماد الدين أبي العباس أحمد بن إبراهيم الواسطي
المعروف بابن شيخ الحزاميين
(٦٥٧ - ٧١١هـ)

تحقيق وتعليق
الدكتور وليد بن محمد بن عبد الله العلي

أسهم بطبعه بعض أهل الخير من الحرمين الشريفين ومحبيهم

دار البشائر الإسلامية

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

لا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزءٍ منه بأيِّ شكلٍ من الأشكال، أو نسخه، أو حفظه في أي نظام إلكتروني أو ميكانيكي يمكِّن من استرجاع الكتاب أو أي جزءٍ منه، دون الحصول على إذن خطي مسبقاً.

شركة دار البشائر الإسلامية
للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.
أسسها الشيخ رمزي دمشقية رحمه الله تعالى
سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م
بيروت - لبنان - ص.ب: ١٤/٥٩٥٥
هاتف: ٠٠٩٦١١/٧٠٢٨٥٧ فاكس: ٠٠٩٦١١/٧٠٤٩٦٣
email: info@dar-albashaer.com
website: www. dar-albashaer.com

ISBN 978-614-437-114-5

المُقدِّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شُرور أنفسنا؛ ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له.

وأشهدُ أنْ لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ مُحمَّداً عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾(1).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾(2).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۝٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾(3).

---

(1) سُورة آل عمران: الآية ١٠٢.

(2) سُورة النِّساء: الآية ١.

(3) سُورة الأحزاب: الآيتان ٧٠ ـ ٧١.

أما بعد:

(فإنَّ العُبوديَّة من أعلى مقامات الصَّادقين، والتَّواضع لعظمة الله من أسنى ملابس المُقرَّبين.

من ظهرت آثارهما عليه دلَّ ذلك على وُجدانه وعرفانه، ومن لم يتقمَّص بهما فقد أقرَّ بما يظهر عليه من الطَّبيعة ببعُده وهوانه.

فلا حال للعبد أشرف من ظُهوره بصفات العُبوديَّة؛ والتَّضاؤل بأحكام الرُّبوبيَّة.

من تعدَّى صفته إلى ما لا يستحقُّه من الصِّفات: أبان عن جهله وحُمقه، ومن وقف على ما تقتضيه حاله من صفاته وحُدوده: اتَّصف في عُبوديَّته وحقِّه.

وكيف لا؟ والعجز والضَّعف صفتاه، والفقر والذُّلُّ حالتاه، وقد اتَّصف ربُّه تعالى بأضدادها من الصِّفات من القُدرة والقُوَّة والغنى والعزَّة.

فمن أظهر إلى الله تعالى عجزه؛ وشكا إليه ضعفه؛ وتقمَّص ذُلَّه وكسره؛ وكأنَّه تسمَّى بأسمائه التي يستحقُّها؛ وتكنَّى بكُناه التي بها ظهر للخليقة رِقُّها؛ لأنَّهم مربوبون، وبعزَّة الرُّبوبيَّة مقهورون.

فذلك سيماء من عرف نفسه فقَدَّرَها قَدْرَها، وعرف ربَّه فقَدَّرَه قَدْرَه)[1].

---

(١) «ميزان الحقِّ والضَّلال؛ في تفصيل أحوال النُّجباء والأبدال؛ وشرح كبر الجهلة من العمَّال؛ الذين عدموا علم التَّفصيل والإجمال» لابن شيخ الحزَّاميِّين (ص٧١ ـ ٧٢).

وهذه رسائل العَالِم النَّاصحِ؛ ومسائل المُعلِّم الصَّالح: عماد الدِّين أبي العبَّاس أحمد بن إبراهيم الواسطيِّ المعروف بابن شيخ الحزَّاميِّين؛ رحمه الله تعالى برحمته التي وسعت كُلَّ شيءٍ وكُتبت لعباده المُؤمنين، وأرفقه بالذين أنعم عليهم من النَّبيِّين والصِّديقين والشُّهداء والصَّالحين.

ولمَّا يسَّر الله تعالى لي بمنِّهِ وإفضالِهِ؛ وسهَّل بكرمِهِ وجُوده ونوالِه: الوُقوفَ على هذه الرَّسائل اللَّطيفة؛ المُشتملة على هذه المسالك المُنيفة: وجدتُّها قد جمعت أُصول الاعتقاد وقواعد التَّعليم؛ وأركان التَّأديب ومبادئ السُّلوك وأُسس التَّقويم.

فألفيتُها بعد نَضْرَةِ النَّظرِ إليها؛ وحسبتُها بعد الاطِّلاع عليها: رسائل ماتعة؛ ومسائل نافعة، فعمدت إلى العناية بها تحقيقاً؛ واجتهدت بالرِّعاية لها تعليقاً، ليعظم بها بمشيئة الله تعالى بعد الطَّبع: الأجر والمثوبة والفائدة والنَّفع.

وقد رأيتُ أن أُقدِّم بين يدي هذه الرَّسائل الفريدة: التَّعريف بالمُؤلِّف والمُؤَلَّف بمُقتضب المقالة المُفيدة.

واللهَ سُبحانه وتعالى؛ المسؤول فضله العظيم؛ والمأمول نفعه العميم: أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، مُدنياً لمُؤلِّفه ومُحقِّقه وقارئه من جنَّات النَّعيم، وأن يجعله حُجَّة لهم لا عليهم؛ وأن ينفع به من انتهى إليهم.

ومن الله الاستمداد، وإليه الملجأ والاستناد، وعليه التَّوكل والاعتماد، فإنَّه لا يخيب من توكَّل عليه، ولا يضيع من لاذ به وفوَّض أمره إليه.

إنَّه سُبحانه خير مسؤولٍ؛ وأكرم مأمولٍ، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

حرره بكلمه؛ وزبره بقلمه:
أفقر الورى إلى غنى ربِّه العليِّ:
الدكتور وليد بن محمَّد بن عبد الله العليّ
غفر الله له ولوالديْه ولزوجه ولذريَّته
ولسائر المُسلمين
جامعة الكويت
كُليَّة الشَّريعة والدِّراسات الإسلاميَّة
قسم العقيدة والدَّعوة
يوم الجُمعة ١١ شهر الله المُحرَّم ١٤٣٥هـ
الموافق ١٥ نُوفمبر (تشرين الثَّاني) ٢٠١٣م

تَعْرِيفٌ بِالمُؤَلِّفِ(١)

اسمه ونسبه:

هو الشَّيخ العالم الإمام؛ الزَّاهد العابد الهُمام، العارف النَّاسك؛ القُدوة السَّالك: عماد الدِّين؛ أبو العبَّاس؛ أحمد بن إبراهيم بن عبد الرَّحمن بن مسعود بن عُمر الحزَّاميُّ؛ الواسطيُّ؛ البغداديُّ؛ ثُمَّ الدِّمشقيُّ، الذي عُرف بأنَّه: ابن شيخ الحزَّاميِّين.

---

(١) انظر التَّعريف به في المصادر الآتية ـ مُرتَّبةٌ وفق التَّسلسل الزَّمنيِّ لمُؤلِّفيها ـ: «المُقتفى على كتاب الرَّوضتيْن» للبرزاليِّ (٢/ ٢/ ١٩ ـ ٢٠)، «العُقود الدُّرِّيَّة من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيميَّة» لابن عبد الهادي (ص٢٩٠)، «الإعلام بوفيَّات الأعلام» للذَّهبيِّ (ص٢٩٩)، «تذكرة الحُفَّاظ» له (٤/ ١٤٩٥)، «ذيل العبر» له (٤/ ٢٩)، «ذيل تاريخ الإسلام ووفيَّات المشاهير والأعلام» له (ص١٠٩)، «مُعجم الشُّيوخ» له (١/ ٢٩ ـ ٣٠: ترجمة ٥)، «المُشتبه في أسماء الرِّجال وأنسابهم» له (ص٢٢٤)، «أعيان العصر وأعوان النَّصر» للصَّفديِّ (١/ ١٥٣ ـ ١٥٤: ترجمة ٦٦)، «الوافي بالوفيَّات» له (٦/ ٢٢١: ترجمة ٢٦٨٩)، «مرآة الجَنان وعبرة اليقظان» لليافعيِّ (٤/ ٢٥٠)، «الذَّيل على طبقات الحنابلة» لابن رجبٍ (٢/ ٣٥٩ ـ ٣٦٠)، «القاموس المُحيط» للفيروزآبادي (ص١٤١٣): مادَّة حزم، «توضيح المُشتبه» لابن ناصر الدِّين الدِّمشقيِّ (٣/ ١٦٥ ـ ١٦٧)، «الرَّد الوافر على من زعم بأنَّ من سمَّى ابن تيميَّة =

والحزَّاميُّون: نسبة إلى الحزَّامين ـ بفتح الحاء والزَّاي وتشديدها ـ[1]، محلَّةٌ في شرقيِّ واسطٍ[2]، وهي واسعةٌ كبيرةٌ.

= شيخ الإسلام كافر» له (ص١٢٩ ـ ١٣١: ترجمة ٣٢)، «الدُّرر الكامنة في أعيان المائة الثَّامنة» لابن حجرٍ (١/ ٩١: ترجمة ٢٤٠)، «المنهل الصَّافي والمُستوفى بعد الوافي» لابن تغري بردي (١/ ٢١٠ ـ ٢١١: ترجمة ١٠٧)، «الدَّليل الشَّافي على المنهل الصَّافي» له (١/ ٣٥: ترجمة ١٠٦)، «المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد» لابن مُفلح (١/ ٧٣: ترجمة ٥)، «المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد» للعُليميِّ (٤/ ٣٨٤ ـ ٣٨٥: ترجمة ١١٩٣)، «الدُّر المُنضَّد في ذكر أصحاب الإمام أحمد» له (٢/ ٤٦١)، «القلائد الجوهريَّة في تاريخ الصَّالحيَّة» لابن طُولون (٢/ ٤٧٩ ـ ٤٨٠)، «شذرات الذَّهب في أخبار من ذهب» لابن العماد (٦/ ٢٤ ـ ٢٥)، «تاج العروس من جواهر القاموس» للزَّبيديِّ (٣١/ ٤٨٣؛ مادَّة: حزم)، «هديَّة العارفين أسماء المُؤلِّفين وآثار المُصنِّفين» للبغداديِّ (١/ ١٠٣ ـ ١٠٤)، «رفع النِّقاب عن تراجم الأصحاب» لابن ضُويَّان (ص٢٩٣ ـ ٢٩٤)، «الأعلام» للزِّركليِّ (١/ ٨٦ ـ ٨٧)، «مُعجم المُؤلِّفين» لكحَّالة (١/ ٨٩)، «تسهيل السَّابلة لمُريد معرفة الحنابلة» للبُرَديِّ (٢/ ٩٤٧ ـ ٩٤٩)، «عُلماء الحنابلة» لبكر أبو زيد (ص٢٢٦) (ترجمة ١٧٨٨)، «مُعجم مُصنَّفات الحنابلة» للأُستاذ الدُّكتور عبد الله الطُّريقيِّ (٣/ ٣١١ ـ ٣١٥).

(١) انظر في ضبطها: «الأنساب» للسَّمعانيِّ (٢/ ٢١٣)، «المُشتبه» للذَّهبيِّ (ص٢٢٤)، «القاموس المُحيط» للفيروزآبادي (ص١٤١٣؛ مادَّة: حزم).

(٢) واسطٌ: اسمٌ يقع على عدَّة مواضع، وأعظمها وأشهرها: مدينة واسطٍ التي عمَّرها الحجَّاج بن يُوسف الثَّقفيُّ سنة ثلاثٍ وثمانين، وهي المُشار =

كما يُطلق الحزَّامون: على الذين يحزمون الكاغد[1] [2]، أو يحزمون الأمتعة ويشدُّونها[3]، والله أعلم.

ولادته ونشأته:

وُلد ابن شيخ الحزَّاميِّين رحمه الله تعالى في حادي عشر ـ أو ثاني عشر ـ شهر ذي الحجَّة الحرام سنة سبعٍ وخمسين وستُّمائةٍ بشرقيِّ واسطٍ.

وكان والده الشَّيخُ أبو إسحاق شيخَ الطَّائفة الأحمديَّة[4]، وقد نشأ ابن شيخ الحزَّاميِّين بينهم.

= إليها، وسُمِّيت بذلك: لتوسُّطها بين البصرة والكُوفة، كما في: «مُعجم ما استعجم» للبكريِّ (٤/ ١٣٦٣)، «مُعجم البُلدان» للحمويِّ (٤/ ٣٤٧)، «الرَّوض المعطار في خبر الأقطار» للحميريِّ (ص٥٩٩).

(١) الكاغد: هُو القرطاس ـ فارسيٌّ مُعرَّبٌ ـ، كما في: «تاج العروس» للزَّبيديِّ (٩/ ١١٠؛ مادَّة: كغد).

(٢) انظر: «الأنساب» للسَّمعانيِّ (٢/ ٢١٣)، «اللُّباب في تهذيب الأنساب» لابن الأثير (١/ ٣٦٢)، «تاج العروس» للزَّبيديِّ (٣١/ ٤٨٥؛ مادَّة: حزم).

(٣) انظر: «مُعجم البُلدان» للحمويِّ (٢/ ٢٥٢).

(٤) الطَّائفة الأحمديَّة: هي إحدى طوائف الصُّوفيَّة وطُرقها، وتنتسب إلى الشَّيخ أبي العبَّاس أحمد بن عليِّ بن رفاعة الحُسينيِّ؛ المولود في قرية حسن ـ من أعمال واسط ـ بالعراق في أوَّل مُحرَّمٍ سنة خمسمائةٍ، والمُتوفَّى في قرية أمِّ عُبيدة ـ بين واسطٍ والبصرة ـ في يوم الخميس ثاني عشر جُمادى الأُولى سنة ثمانٍ وسبعين وخمسمائةٍ، وتُسمَّى باسم الرِّفاعيَّة؛ وهو الاسم الذي غلب عليها: نسبة إلى أحد أجداد الشَّيخ =

وكان رحمه الله تعالى (يرتزق من النَّسخ؛ وخطُّه حسنٌ جدًّا)[١]، (ولا يكاد يقبل من أحدٍ شيئاً إلَّا في النَّادر)[٢]، وكان مع ذلك (لا يكتب إلَّا مقدار ما يدفع به الضَّرورة)[٣].

قال الأديب المُؤرِّخ الصَّفديُّ رحمه الله تعالى: (وكتب المنسوب[٤] حتَّى أخمل[٥] الحدائق، وأتى في طرسه[٦] بكُلِّ سطرٍ على العقد فائق)[٧].

= أحمد، كما تُسمَّى باسم البطائحيَّة: نسبة إلى مسقط رأس الشَّيخ أحمد ببطائح واسط بالعراق، وهذه الطَّريقة لا تخرج في كثيرٍ من طُقوسها الفكريَّة؛ وجُذورها العقديَّة عن عامَّة الطُّرق الصُّوفيَّة.

(١) «الدُّرر الكامنة» لابن حجرٍ (١/ ٩١).

(٢) حكاه الحافظ ابن رجبٍ ـ عن الحافظ الذَّهبيِّ ـ في «الذَّيل» (٢/ ٣٦٠).

(٣) حكاه الحافظ ابن رجبٍ ـ عن الحافظ البرزاليِّ ـ في «الذَّيل» (٢/ ٣٦٠).

(٤) خطٌّ منسوبٌ: ذُو قاعدةٍ، كما في: «تاج العروس» للزَّبيديِّ (٤/ ٢٦٤؛ مادَّة: نسب).

(٥) قال ابن السِّكِّيت: (قال أبو صاعدٍ: الخميلة: الشَّجر المُجتمع الذي لا ترى فيه الشَّيء إذا وقع في وسطه)، كما في «تهذيب اللُّغة» للأزهريِّ (٧/ ٤٢٩؛ مادَّة: خمل).

(٦) قال اللَّيث: (الطِّرْس: الكتاب الممحو الذي يُستطاع أن تُعاد عليه الكتابة، وفعلك به: التَّطريس)، كما في «تهذيب اللُّغة» للأزهريِّ (١٢/ ٣٢٩؛ مادَّة: طرس).

(٧) «أعيان العصر» للصَّفديِّ (١/ ١٥٣).

مُعتقده ومسلكه:

قد أُلهم رحمه الله تعالى (من صغره طلب الحقِّ ومحبَّته؛ والنُّفور عن البدع وأهلها)[1]، فاجتمع بطوائف عدَّةٍ؛ (ولم يسكن قلبه إلى شيءٍ)[2] منها، فاجتمع بفُقهاء واسطٍ؛ وبغداد؛ ومكَّة؛ والقاهرة، ثُمَّ رحل إلى الإسكندريَّة؛ فاجتمع هُناك بالطَّائفة الشَّاذليَّة[3]، فوجد عندهم ما يطلبه من لوائح المعرفة والسُّلوك، فأخذ عنهم؛ واقتفى طريقتهم وهديهم.

وكان رحمه الله تعالى في هذه الحِقبة الزَّمنيَّة من عُمره: مُضطرباً ببعض الأُصول ومُتحيِّراً في شيءٍ من مسائل الاعتقاد؛ حتَّى أراه الله تعالى الحقَّ ورزقه اتِّباعه وهداه إلى سبيل الرَّشاد، كما أشار رحمه الله تعالى إلى ذلك بقوله: (كُنت بُرهة من الدَّهر مُتحيِّراً في ثلاث مسائل: مسألة الصِّفات؛ ومسألة الفوقيَّة؛ ومسألة الحرف والصَّوت في القُرآن المجيد، وكُنت مُتحيِّراً في الأقوال المُختلفة الموجودة في كتب أهل العصر في جميع ذلك: من تأويل الصِّفات وتحريفها؟ أو إمرارها؟

---

(١) «الذَّيل» لابن رجبٍ (٢/ ٣٦٠).

(٢) المصدر السابق، نفسه.

(٣) الطَّائفة الشَّاذليَّة: هي إحدى طوائف الصُّوفيَّة وطُرقها، وتنتسب إلى الشَّيخ أبي الحسن عليِّ بن عبد الله الهُذليِّ الشَّاذليِّ ـ نسبة إلى شاذلة في المغرب ـ؛ المُتوفَّى أوائل شهر ذي القعدة سنة ستٍّ وخمسين وستُّمائةٍ، وهذه الطَّريقة لا تخرج في كثيرٍ من طُقوسها الفكريَّة؛ وجُذورها العقديَّة عن عامَّة الطُّرق الصُّوفيَّة.

أو الوُقوف فيها؟ أو إثباتها بلا تأويلٍ ولا تعطيلٍ؛ ولا تشبيهٍ ولا تمثيلٍ؟)[١].

إلى أن قال رحمه الله تعالى: (فلم أزل في هذه الحيرة والاضطراب من اختلاف المذاهب والأقوال، حتَّى لطف الله بي، وكشف لهذا الضَّعيف عن وجه الحقِّ، كشفاً اطمأنَّ إليه خاطره، وسكن به سِرُّه، وتبرهن الحقُّ في نُوره)[٢].

وكان تخلِّيه رحمه الله تعالى عن هذه المذاهب والأقوال بعد قُدومه دمشق؛ والتقائه بشيخ الإسلام ابن تيميَّة رحمه الله تعالى، وصُحبته له، حيث دلَّه على مُطالعة السِّيرة النَّبويَّة، فأقبل عليها؛ وعلى مُطالعة كُتب الحديث والسُّنَّة والآثار، حتَّى صار (داعية إلى السُّنَّة ومُتابعة الآثار)[٣]؛ (مُحبًّا لأهل الحديث؛ مُعظِّماً لهم)[٤]، (ومذهبه مذهب السَّلف الصَّالح في الصِّفات؛ يُمرُّها كما جاءت)[٥].

وكان حَسَن العهد بشيخ الإسلام ابن تيميَّة مُثنياً عليه، ومُضيفاً إليه كُلَّ صفةٍ حسنةٍ؛ وكُلَّ منقبةٍ مُستحسنةٍ، فمن ذلك قوله: (شيخنا السَّيِّد الإمام؛ الأُمَّة الهُمام، مُحيي السُّنَّة وقاطع البدعة،

---

(١) «النَّصيحة» لابن شيخ الحزَّاميِّين (ص١٦ ـ ١٧).
(٢) «النَّصيحة» لابن شيخ الحزَّاميِّين (ص٣٢).
(٣) «مُعجم الشُّيوخ» للذَّهبيِّ (١/ ٢٩).
(٤) حكاه الحافظ ابن رجبٍ ـ عن الحافظ البرزاليِّ ـ في «الذَّيل» (٢/ ٣٦٠).
(٥) حكاه الحافظ ابن رجبٍ ـ عن الحافظ الذَّهبيِّ ـ في «الذَّيل» (٢/ ٣٦٠).

ناصر الحديث، ومُفتي الفرق، الفائق عن الحقائق؛ ومُوصلها بالأُصول الشَّرعيَّة للطَّالب الذَّائق، الجامع بين الظَّاهر والباطن؛ فهُو يقضي بالحقِّ ظاهراً وقلبه في العُلى قاطنٌ، أُنموذج الخُلفاء الرَّاشدين؛ والأئمَّة المهديِّين، الذين غابت عن القُلوب سِيَرُهُم؛ ونَسِيَت الأُمَّة حذوهم وسُبُلَهُم، فذكَّرهم بها الشَّيخ، فكان في دارس نهجهم سالكاً، ولموات حذوهم مُحيياً؛ ولأعنَّة قواعدهم مالكاً، الشَّيخ الإمام: تقيُّ الدِّين؛ أبو العبَّاس؛ أحمد بن عبد الحليم بن عبد السَّلام بن تيميَّة، أعاد الله علينا بركته، ورفع إلى مدارج العُلى درجته)[1].

وقد انتفع بهدي ابن شيخ الحزَّاميِّين و(تسلَّك به جماعةٌ، وأَلِف الضَّراعة من الرَّضاعة)[2]، ثُمَّ شرع في الرَّدِّ على أرباب المذاهب العقليَّة الذَّميمة، واجتهد في التَّحذير من أصحاب الأقوال السَّقيمة، فبيَّن عوارهم؛ وكشف أستارهم.

قال الحافظ الذَّهبيُّ رحمه الله تعالى: (جالسته مراراً وانتفعت به، وكان مُنقبضاً عن النَّاس؛ حافظاً لوقته[3]، تسلَّك به جماعةٌ، وكان ذا ورعٍ وإخلاصٍ، ومُنابذةٍ للاتِّحاديَّة وذوي العُقول)[4].

---

(١) «التَّذكرة والاعتبار» لابن شيخ الحزَّاميِّين (ص١٩ ـ ٢٠).
(٢) «أعيان العصر» للصَّفديِّ (١/ ١٥٤).
(٣) سقطت كلمة (لوقته) من الوافي بالوفيَّات، واستدركتها من «الدُّرر الكامنة».
(٤) حكاه الصَّفديُّ في «الوافي بالوفيَّات» (٦/ ٢٢١).

مذهبه الفقهيُّ:

أقبل رحمه الله تعالى على التَّفقُّه في الدِّين، وبرز فيه، وصارت (له مُشاركةٌ في العُلوم)[1]، وزاحم في شتَّى (الفضائل، وصحب الكبار)[2].

وقد (تفقَّه على مذهب الشَّافعيِّ)[3] رحمه الله تعالى، (ونظر في «الرَّوضة» و«الرَّافعيِّ»[4])[5]، كما أشار إلى ذلك بقوله: (لأنِّي على مذهب الشَّافعيِّ رحمه الله تعالى، عرفت منهم فرائض ديني وأحكامه)[6].

ثُمَّ تحوَّل و(انتقل إلى مذهب الإمام أحمد)[7] رحمه الله تعالى[8]، فقرأ على شيخ المذهب مجد الدِّين إسماعيل بن مُحمَّد

---

(١) «ذيل العبر» للذَّهبيِّ (٤/ ٢٩).

(٢) «مُعجم الشُّيوخ» للذَّهبيِّ (١/ ٢٩).

(٣) «الدُّرر الكامنة» لابن حجرٍ (١/ ٩١).

(٤) أي: تفقَّه في مذهب الشَّافعيِّ على كتاب «الفتح العزيز في شرح الوجيز» للإمام أبي القاسم عبد الكريم بن مُحمَّد الرَّافعيِّ القزوينيِّ (٥٥٧ ـ ٦٢٣هـ)، وعلى مُختصره «روضة الطَّالبين وعُمدة المُفتين» للإمام أبي زكريَّا يحيى بن شرف النَّوويِّ الدِّمشقيِّ (٦٣١ ـ ٦٧٦هـ).

(٥) «أعيان العصر» للصَّفديِّ (١/ ١٥٤).

(٦) «النَّصيحة» لابن شيخ الحزَّاميِّين (ص١٨).

(٧) «الذَّيل» لابن رجبٍ (٢/ ٣٥٩).

(٨) انظر: «العُلماء الذين تحوَّلوا من مذهبٍ إلى آخر وأسباب التَّحوُّل» لبكر أبو زيد (ص٤٥)، «المدخل المُفصَّل إلى فقه الإمام أحمد بن حنبل» له (١/ ٥٦٩).

الحرَّانيِّ رحمه الله تعالى كتاب «الكافي» للمُوفَّق ابن قدامة رحمه الله تعالى، (واختصره في مُجلَّدٍ)[1].

ثناء العُلماء عليه:

كُسي ابن شيخ الحزَّاميِّين بثوب ثناء عُلماء عصره وفُقهاء مصره عليه، فجادت ألسنة صدقهم بالثَّناء والدُّعاء وجاءت مدائحهم تسعى إليه،

فمن ذلك:

١ ـ كان شيخ الإسلام ابن تيميَّة رحمه الله تعالى (٦٦١ ـ ٧٢٨هـ) يُعظِّمه ويُجلِّه، ويقول: (هُو جُنيد[2] وقته. وكتب إليه كتاباً من مصر؛ أوَّله: إلى شيخنا الإمام العارف القُدوة السَّالك)[3].

---

(١) «الذَّيل» لابن رجبٍ (٢/ ٣٥٩).

(٢) هُو أبو القاسم الجُنيد بن مُحمَّد الخرَّاز القواريريُّ النَّهاونديُّ ثُمَّ البغداديُّ، المُتوفَّى سنة ثمانٍ وتسعين ومائتين.
قال ابن قيِّم الجوزيَّة في «مدارج السَّالكين بين منازل إيَّاك نعبد وإيَّاك نستعين» (٣/ ٣٢٨): (قال سيِّد الطَّائفة وشيخهم الجُنيد بن مُحمَّد رحمه الله: الطُّرق كُلُّها مسدودةٌ على الخلق؛ إلَّا على من اقتفى آثار الرَّسول ﷺ. وقال: من لم يحفظ القُرآن ويكتب الحديث لا يُقتدى به في هذا الأمر؛ لأنَّ علمنا مُقيَّدٌ بالكتاب والسُّنَّة. وقال: مذهبنا هذا مُقيَّدٌ بأُصول الكتاب والسُّنَّة).

(٣) «الذَّيل» لابن رجبٍ (٢/ ٣٦٠).

٢ ـ قال الحافظ البرزاليُّ رحمه الله تعالى (٦٦٥ ـ ٧٣٩هـ): (رجلٌ صالحٌ عارفٌ، صاحب نُسكٍ وعبادةٍ؛ وانقطاعٍ وعُزوفٍ عن الدُّنيا، وله كلامٌ متينٌ في التَّصوُّف الصَّحيح، وهُو داعيةٌ إلى طريق الله تعالى)(١).

٣ ـ قال الحافظ ابن عبد الهادي رحمه الله تعالى (٧٠٥ ـ ٧٤٤هـ): (كان رجلاً صالحاً ورعاً، كبير الشَّأن، مُنقطعاً إلى الله، مُتوفِّراً على العبادة والسُّلوك)(٢).

٤ ـ قال الحافظ الذَّهبيُّ رحمه الله تعالى (٦٧٣ ـ ٧٤٨هـ): (شيخنا القُدوة العارف)(٣). ويقول: (كان من سادة السَّالكين)(٤).

٥ ـ قال الأديب المُؤرِّخ الصَّفديُّ رحمه الله تعالى (٦٩٦ ـ ٧٦٤هـ): (لقي المشايخ وتعبَّد، وترك الرِّئاسة وتزهَّد، وقطع العوالق وتجرَّد)(٥).

٦ ـ قال الحافظ ابن رجبٍ رحمه الله تعالى (٧٣٦ ـ ٧٩٥هـ): (كان له مُشاركةٌ جيِّدةٌ في العُلوم، وعبارةٌ حسنةٌ قويَّةٌ، وفهمٌ جيِّدٌ، وخطٌّ حسنٌ في غاية الحُسن. وكان معمور الأوقات في الأوراد والعبادات والتَّصنيف والمُطالعة والذِّكر والفكر، مصروف العناية

---

(١) «الذَّيل» لابن رجبٍ (٢/ ٣٦٠).
(٢) «العُقود الدُّرِّيَّة» لابن عبد الهادي (ص٢٩٠).
(٣) «مُعجم الشُّيوخ» للذَّهبيِّ (١/ ٢٩).
(٤) «ذيل العبر» للذَّهبيِّ (٤/ ٢٩).
(٥) «أعيان العصر» للصَّفديِّ (١/ ١٥٣)».

إلى المُراقبة والمحبَّة والأُنس بالله وقطع الشَّواغل والعوائق عنه، حثيث السَّير إلى وادي الفناء بالله والبقاء به، كثير اللَّهج بالأذواق والتَّجلِّيات والأنوار القلبيَّة، منزوياً عن النَّاس لا يجتمع إلَّا بمن يُحبُّه ويحصل له باجتماعه به منفعةٌ دينيَّةٌ)[١].

٧ ـ قال الحافظ ابن ناصر الدِّين رحمه الله تعالى (٧٧٧ ـ ٨٤٢هـ): (كان زاهداً عابداً، داعية إلى الله)[٢].

مُؤلَّفاته:

كان رحمه الله تعالى صاحب (عبارةٍ عذبةٍ)[٣]؛ سَبَك بُحسْن أدبها ما (يُتحلَّى بقلائده، وتتجلَّى محاسنه في فرائده)[٤].

ولمَّا كان (قلمه أبسط من عبارته)[٥]: اعتنى بالتَّصنيف، حيث (صنَّف في السُّلوك والمحبَّة)[٦] مُصنَّفاتٍ و(تواليف نافعة)[٧]، وغالب هذه المُصنَّفات في الحثِّ على (اقتفاء السُّنَّة؛ وطريق التَّصوُّف على السُّنَّة؛ والرَّدِّ على طوائف من المُبتدعة كالاتِّحاديَّة وغيرهم)[٨]،

---

(١) «الذَّيل» لابن رجبٍ (٢/ ٣٦٠).

(٢) «الرَّدُّ الوافر» لابن ناصر الدِّين (ص١٣٠).

(٣) «ذيل العبر» للذَّهبيِّ (٤/ ٢٩).

(٤) «أعيان العصر» للصَّفديِّ (١/ ١٥٣).

(٥) حكاه الحافظ ابن رجبٍ ـ عن الحافظ البرزاليِّ ـ في «الذَّيل» (٢/ ٣٦٠).

(٦) «الوافي بالوفيَّات» للصَّفديِّ (٦/ ٢٢١).

(٧) «مُعجم الشُّيوخ» للذَّهبيِّ (١/ ٢٩).

(٨) «الرَّدُّ الوافر» لابن ناصر الدِّين (ص١٢٩).

وكلامه (في التَّصوُّف عجيبٌ)[1].

قال الحافظ ابن رجبٍ رحمه الله تعالى: (ألَّف تآليف كثيرة في الطَّريقة النَّبويَّة؛ والسُّلوك الأثريِّ؛ والفقر المُحمَّديِّ، وهي من أنفع كُتب الصُّوفيَّة للمُريدين، انتفع بها خلقٌ من مُتصوِّفة أهل الحديث ومُتعبِّديها)[2].

ومن هذه المُؤلَّفات:

١ ـ **«البُلغة»**: اختصر فيه كتاب «الكافي» لابن قُدامة المقدسيِّ رحمه الله تعالى، وقد ذكره: ابن رجبٍ؛ وابن ناصر الدِّين؛ والعُليميُّ؛ وابن طُولون؛ وحاجي خليفة؛ والبغداديُّ؛ وابن العماد؛ وابن ضُويَّان؛ وكحَّالة؛ والبُرَديُّ؛ وأبو زيدٍ؛ والطُّريقيُّ[3].

---

(١) «توضيح المُشتبه» لابن ناصر الدِّين (٣/ ١٦٦).

(٢) «الذَّيل» لابن رجبٍ (٢/ ٣٥٩).

(٣) انظر: «الذَّيل» لابن رجبٍ (٢/ ٣٥٩)، «الرَّد الوافر» لابن ناصر الدِّين (ص١٢٩)، «المنهج الأحمد» للعُليميِّ (٤/ ٣٨٤)، «الدُّر المُنضَّد» له (١/ ٤٦١)، «القلائد الجوهريَّة» لابن طُولون (٢/ ٤٧٩)، «شذرات الذَّهب» لابن العماد (٦/ ٢٤)، «كشف الظُّنون» لحاجي خليفة (١/ ٢٥٢؛ ٢/ ١٠٠١)، «هديَّة العارفين» للبغداديِّ (١/ ١٠٤)، «رفع النِّقاب» لابن ضُويَّان (ص٢٩٤)، «مُعجم المُؤلِّفين» لكحَّالة (١/ ٨٩)، «تسهيل السَّابلة» للبُرَديِّ (٢/ ٩٤٩)، «المدخل المُفصَّل» لبكر أبو زيد (٢/ ٧٣٩؛ ٩٨٦)، «مُعجم مُصنَّفات الحنابلة» للطُّريقيِّ (٣/ ٣١٢).

٢ ـ **«البُلغة والإقناع؛ في حلِّ شُبهة مسألة السَّماع»**: (ألَّفه بدمشق سنة ثلاثٍ وسبعمائة)[١]، وقد ذكره: لبغداديُّ؛ وكحَّالة؛ والبُرَديُّ؛ وأبو زيدٍ؛ والطُّريقيُّ[٢].

٣ ـ **«التَّذكرة والاعتبار؛ والانتصار للأبرار»**: رسالةٌ كتبها وبعثها إلى أصحاب شيخ الإسلام ابن تيميَّة رحمه الله تعالى، (وأوصاهم فيها بمُلازمة الشَّيخ؛ والحثِّ على اتِّباع طريقته، وأثنى فيها على الشَّيخ ثناءً عظيماً)[٣]، وقد ذكره: ابن ناصر الدِّين؛ والطُّريقيُّ[٤]، وهُو مطبوعٌ[٥].

٤ ـ **«السِّرُّ المصون؛ والعلم المخزون؛ فيه لوائح من المحبَّة وَشُؤون»**، وهُو مطبوعٌ[٦].

---

(١) «كشف الظُّنون» لحاجي خليفة (١/ ٢٥٢؛ ٢/ ١٠٠١).

(٢) انظر: «هديَّة العارفين» للبغداديِّ (١/ ١٠٤)، «مُعجم المُؤلِّفين» لكحَّالة (١/ ٨٩)، «تسهيل السَّابلة» للبُرَديِّ (٢/ ٩٤٩)، «المدخل المُفصَّل» لبكر أبو زيد (٢/ ٨٨٥؛ ٩٨٦؛ ١٠٥٢)، «مُعجم مُصنَّفات الحنابلة» للطُّريقيِّ (٣/ ٣١٣).

(٣) «العُقود الدُّرِّيَّة» لابن عبد الهادي (ص٢٩٠).

(٤) انظر: «الرَّد الوافر» لابن ناصر الدِّين (ص١٣٠ ـ ١٣١)، «مُعجم مُصنَّفات الحنابلة» للطُّريقيِّ (٣/ ٣١٥).

(٥) اعتنت بطباعته دار العاصمة؛ بتحقيق: الدُّكتور/ عبد الرَّحمن بن عبد الجبَّار الفريوائيُّ.

(٦) اعتنت بطباعته دار البشائر الإسلاميَّة؛ بتحقيقي وتعليقي.

٥ ـ **«السُّلوك والسَّير إلى الله تعالى»**، وقد ذكره: الطُّريقيُّ[(١)]، وهُو مخطوطٌ[(٢)].

٦ ـ **«شرح منازل السَّائرين»**: شرح فيه (أكثر منازل السَّائرين)[(٣)] لشيخ الإسلام أبي إسماعيل عبد الله بن مُحمَّد الأنصاريِّ الهرويِّ رحمه الله تعالى؛ (ولم يُتمَّه)[(٤)]، وقد ذكره: الذَّهبيُّ؛ وابن قيِّم الجوزيَّة[(٥)]؛ والصَّفديُّ؛ وابن رجبٍ؛ وابن ناصر الدِّين؛ وابن حجرٍ؛ وابن تغري بردي؛ والعُليميُّ؛ وحاجي خليفة؛ والبغداديُّ؛ وابن ضُويَّان؛ والزِّركِليُّ؛ وكحَّالة؛ والبُرَديُّ؛ والطُّريقيُّ[(٦)].

---

(١) انظر: «مُعجم مُصنَّفات الحنابلة» للطُّريقيِّ (٣/ ٣١٤).

(٢) تُوجد منه نُسخةٌ خطِّيَّةٌ مُودعةٌ في دار الكُتب الظَّاهريَّة بدمشق، تحت رقم التَّصنيف (٤٧٠٩)، وتقع في (١٤٧) ورقة، وهي مخرومة الأوَّل والآخر، كما في: «فهرس مخطوطات دار الكُتب الظَّاهريَّة» (قسم التَّصوُّف) (٢/ ٦٠ ـ ٦١).

(٣) «الوافي بالوفيَّات» للصَّفديِّ (٦/ ٢٢١).

(٤) «الذَّيل» لابن رجبٍ (٢/ ٣٦٠).

(٥) انفرد تلميذه ابن قيِّم الجوزيَّة رحمه الله تعالى عمَّن سواه من المُترجمين بخصِّيصةٍ، حيث ضمَّن مواطن من هذا الشَّرح في [شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتَّعليل: ١/ ٨٩ ـ ٩١] فقال: (والذي يليق به [أي: يليق بكلام صاحب المنازل]: ما ذكره شيخنا أبو العبَّاس أحمد بن إبراهيم الواسطيُّ رحمه الله في شرحه، فذكر قاعدة في الفناء والاصطلام، فقال) ثُمَّ ساق قوله في ثلاث صفحاتٍ.

(٦) انظر: «ذيل تاريخ الإسلام» للذَّهبيِّ (ص١٠٩)، «شفاء العليل» لابن قيِّم الجوزيَّة (١/ ٨٩ ـ ٩١)، «الوافي بالوفيَّات» للصَّفديِّ (٦/ ٢٢١)، =

٧ ـ **«مُختصر دلائل النُّبوَّة»**، وقد ذكره: الذَّهبيُّ؛ والصَّفديُّ؛ وابن حجرٍ؛ وابن تغري بردي؛ والزِّركِليُّ؛ والطُّريقيُّ[١].

٨ ـ **«مُختصر سيرة ابن إسحاق»**: حيث (أقبل على سيرة ابن إسحاق ـ تهذيب ابن هشامٍ ـ؛ فلخَّصها واختصرها)[٢]، وقد ذكره: الذَّهبيُّ؛ والصَّفديُّ؛ وابن ناصر الدِّين؛ وابن تغري بردي؛ وابن مُفلحٍ؛ والعُليميُّ؛ وابن طُولون؛ وابن العماد؛ وابن ضُويَّان؛ وسزكين؛ والبُرَديُّ؛ والطُّريقيُّ[٣].

= «الذَّيل» لابن رجبٍ (٢/ ٣٦٠)، «توضيح المُشتبه» لابن ناصر الدِّين (٣/ ١٦٥ ـ ١٦٦)، «الدُّرر الكامنة» لابن حجرٍ (١/ ٩١)، «المنهل الصَّافي» لابن تغري بردي (١/ ٢١١)، «المنهج الأحمد» للعُليميِّ (٤/ ٣٨٤)، «الدُّر المُنضَّد» له (١/ ٤٦١)، «كشف الظُّنون» لحاجي خليفة (٢/ ١٨٢٨)، «هديَّة العارفين» للبغداديِّ (١/ ١٠٤)، «رفع النِّقاب» لابن ضُويَّان (ص٢٩٤)، «الأعلام» للزِّركليِّ (١/ ٨٧)، «مُعجم المُؤلِّفين» لكحَّالة (١/ ٨٩)، «تسهيل السَّابلة» للبُرَديِّ (٢/ ٩٤٩)، «مُعجم مُصنَّفات الحنابلة» للطُّريقيِّ (٣/ ٣١٥).

(١) انظر: «ذيل تاريخ الإسلام» للذَّهبيِّ (ص١٠٩)، «أعيان العصر» للصَّفديِّ (١/ ١٥٣)، «الوافي بالوفيَّات» له (٦/ ٢٢١)، «الدُّرر الكامنة» لابن حجرٍ (١/ ٩١)، «المنهل الصَّافي» لابن تغري بردي (١/ ٢١١)، «الأعلام» للزِّركليِّ (١/ ٨٧)، «مُعجم مُصنَّفات الحنابلة» للطُّريقيِّ (٣/ ٣١٥).

(٢) «الذَّيل» لابن رجبٍ (٢/ ٣٥٩).

(٣) انظر: «ذيل تاريخ الإسلام» للذَّهبيِّ (ص١٠٩)، «أعيان العصر» للصَّفديِّ (١/ ١٥٣ ـ ١٥٤)، «الوافي بالوفيَّات» له (٦/ ٢٢١)، «توضيح المُشتبه» =

٩ ـ «مدخل أهل الفقه واللِّسان؛ إلى ميدان المحبَّة والعرفان»، وقد ذكره: حاجي خليفة؛ والبغداديُّ؛ وكحَّالة؛ والبُرَديُّ؛ والطُّريقيُّ[١]، وهُو مطبوعٌ[٢].

١٠ ـ «مفتاح الطَّريق؛ إلى سُلوك التَّحقيق»، وهُو مطبوعٌ[٣].

١١ ـ «مفتاح المعرفة والعبادة؛ لأهل الطَّلب والإرادة؛ الرَّاغبين في الدُّخول إلى دار السَّعادة؛ من الطَّريقة المُحمَّديَّة التي ليست بمُنحرفةٍ عن الجادَّة»، وهُو مطبوعٌ[٤].

= لابن ناصر الدِّين (٣/ ١٦٥)، «الرَّد الوافر» له (ص١٢٩)، «المنهل الصَّافي» لابن تغري بردي (١/ ٢١١)، «المقصد الأرشد» لابن مُفلح (١/ ٧٣)، «المنهج الأحمد» للعُليميِّ (٤/ ٣٨٤)، «الدُّر المُنضَّد» له (١/ ٤٦١)، «القلائد الجوهريَّة» لابن طُولون (٢/ ٤٧٩)، «شذرات الذَّهب» لابن العماد (٦/ ٢٤)، «رفع النِّقاب» لابن ضُويَّان (ص٢٩٣)، «تاريخ التُّراث العربيِّ» لسزكين (١/ ١/ ١١٠)، «تسهيل السَّابلة» للبُرَديِّ (٢/ ٩٤٩)، «مُعجم مُصنَّفات الحنابلة» للطُّريقيِّ (٣/ ٣١٥).

(١) انظر: «كشف الظُّنون» لحاجي خليفة (٢/ ١٦٤٣)، «هديَّة العارفين» للبغداديِّ (١/ ١٠٤)، «إيضاح المكنون» له (٢/ ٤٥٤ ـ ٤٥٥)، «مُعجم المُؤلِّفين» لكحَّالة (١/ ٨٩)، «تسهيل السَّابلة» للبُرَديِّ (٢/ ٩٤٩)، «مُعجم مُصنَّفات الحنابلة» للطُّريقيِّ (٣/ ٣١٤).

(٢) اعتنت بطباعته دار البشائر الإسلاميَّة؛ بتحقيقي وتعليقي.

(٣) اعتنت بطباعته دار البشائر الإسلاميَّة؛ بتحقيقي وتعليقي.

(٤) اعتنت بطباعته دار البشائر الإسلاميَّة؛ بتحقيقي وتعليقي.

١٢ ـ «مفتاح طريق الأولياء؛ وأهل الزُّهد من العُلماء»، وقد ذكره: الزِّرِكليُّ[١]، وهُو مطبوعٌ[٢].

١٣ ـ «مفتاح طريق المُحبِّين؛ وباب الأُنس بربِّ العالمين؛ المُؤدِّي إلى أحوال المُقرَّبين»، وقد ذكره: البغداديُّ؛ وكحَّالة؛ والبُرَديُّ؛ والطُّريقيُّ[٣]، وهُو مطبوعٌ[٤].

١٤ ـ «ميزان الحقِّ والضَّلال؛ في تفصيل أحوال النُّجباء والأبدال؛ وشرح كبر الجهلة من العمَّال؛ الذين عدموا علم التَّفصيل والإجمال»، وهُو مطبوعٌ[٥].

١٥ ـ «مِيْزَانُ الشُّيُوخِ»، وهُو مطبوعٌ[٦].

١٦ ـ «نصيحةٌ في صفات الرَّبِّ جلَّ وعلا»، وهُو مطبوعٌ[٧].

---

(١) انظر: «الأعلام» للزِّرِكليِّ (١/ ٨٧).

(٢) اعتنت بطباعته دار البشائر الإسلاميَّة؛ بتحقيق: مُحمَّد بن ناصرٍ العجميِّ.

(٣) انظر: «هديَّة العارفين» للبغداديِّ (١/ ١٠٤)، «إيضاح المكنون» له (٢/ ٥٢٥)، «مُعجم المُؤلِّفين» لكحَّالة (١/ ٨٩)، «تسهيل السَّابلة» للبُرَديِّ (٢/ ٩٤٩)، «مُعجم مُصنَّفات الحنابلة» للطُّريقيِّ (٣/ ٣١٥).

(٤) اعتنت بطباعته دار البشائر الإسلاميَّة؛ بتحقيقي وتعليقي.

(٥) اعتنت بطباعته دار البشائر الإسلاميَّة؛ بتحقيقي وتعليقي.

(٦) اعتنت بطباعته دار البشائر الإسلاميَّة؛ بتحقيقي وتعليقي.

(٧) اعتنى بطباعته المكتب الإسلاميُّ؛ بتحقيق: زُهير الشَّاويش.

١٧ ـ «**نصيحةٌ لبعض إخوانه**»، وقد ذكره: الطُّريقيُّ[١]، وهُو مخطوطٌ[٢].

نظمه:

كان رحمه الله تعالى ـ إلى جانب ما جمع الله تعالى له من الذِّكر الرَّفيع ـ قد اشتهر عنه بأنَّه صاحب (نظمٍ حسنٍ)[٣] وشعرٍ رائقٍ وقرضٍ بديعٍ.

قال الحافظ الذَّهبيُّ رحمه الله تعالى: (أنشدنا لنفسه رحمه الله تعالى:

مَا زَالَ يَعْشَقُهَا طَوْراً ويُلْهِيهَا ... حَتَّى أَنَاخَ بِرَبْعِ الحُبِّ حَادِيهَا
يَشْكُو إِلَيْهِ كَلالَ السَّيْرِ مِنْ نَصَبٍ ... وَعْدَ الوِصَالِ يُمَنِّيهَا فَيُحْيِيهَا
هَبَّ النَّسِيمُ فَأَهْدَى طِيبَ نَشْرِهِمُ ... فَهَيَّجَ الوَجْدَ مِنْ أَقْصَى دَوَاعِيهَا
إِنْ رُمْتَ سَيْراً فَصَفِّ القَلْبَ مِنْ دَنَسٍ ... مَعَ الجَوَارِحِ كَيْ تَنْفِي مَسَاوِيهَا
وَجَانِبِ النَّهْيَ حَسْبَ الجَهْدِ مُمْتَثِلاً ... نُجْحَ الأَوَامِرِ كَيْ يَنْفَكَّ عَانِيهَا
واقْصِدْ إِلَى السُّنَّةِ الغَرَّاءِ تَفْهَمُهَا ... فَهْمَ الخُصُوصِ فَتَعْلُو فِي مَبَانِيهَا
وَدَاوِمِ الذِّكْرَ بَعْدَ العَقْدِ مِنْ سُنَنٍ ... عَقْدَ ابْنِ حَنْبَلٍ لِلأَمْرَاضِ يَشْفِيهَا

---

(١) انظر: «مُعجم مُصنَّفات الحنابلة» للطُّريقيِّ (٣/ ٣١٥).

(٢) تُوجد منه نُسخةٌ خطِّيَّةٌ مُودعةٌ في دار الكُتب الظَّاهريَّة بدمشق، تحت رقم التَّصنيف (١٥٣٢)، وتقع في (١٢٧) ورقة، كما في: «فهرس مخطوطات دار الكُتب الظَّاهريَّة» (قسم التَّصوُّف) (٣/ ٥٦ ـ ٥٧).

(٣) «الذَّيل» لابن رجبٍ (٢/ ٣٦٠).

لا يَعْرِفُ الشَّوْقَ إلَّا مَنْ يُكَابِدُهُ ... وَلَا الصَّبَابَةَ إلَّا مَنْ يُعَانِيهَا)[1]

وقال الحافظ ابن ناصر الدِّين رحمه الله تعالى: (ومن إنشادات الحزَّاميِّ هذا في مراتب المحبَّة:

مَنْ كَانَ فِي ظُلَمِ الدَّياجِي سَارِياً ... رَصَدَ النُّجُومَ وَأَوْقَدَ المِصْبَاحَا

حَتَّى إذَا مَا البَدْرُ أرْشَدَ ضَوْؤُهُ ... تَرَكَ النُّجُومَ وَرَاقَبَ الإصْبَاحَا

حَتَّى إذَا انْجَابَ الظَّلامُ بِأَسْرِهِ ... وَرَأَى الصَّبَاحَ بِأُفْقِهِ قَدْ لاحَا

تَرَكَ المَسَارِجَ وَالكَوَاكِبَ كُلَّهَا ... وَالبَدْرَ وَارْتَقَبَ السَّنَا الوَضَّاحَا)[2]

وفاته:

كان رحمه الله تعالى قد أدركته المنيَّة عن (أربعٍ وخمسين سنة)[3]، (وعينه من الانقطاع عن الدُّنيا وَسِنَة، ولم يزل على حاله إلى أن التقمته الأرض، وأودعته في بطنها إلى يوم العرض)[4].

وكانت وفاته بعد عصر السَّبت سادس عشر ربيع الآخر سنة إحدى عشر وسبعمائة بالمارستان[5] الصَّغير بدمشق، عن ثلاثةٍ وخمسين عاماً؛

---

(١) «مُعجم الشُّيوخ» للذَّهبيِّ (١/ ٢٩).

(٢) «توضيح المُشتبه» لابن ناصر الدِّين (٣/ ١٦٦ ـ ١٦٧)، وقد ذكرها ابن قيِّم الجوزيَّة في «كشف الغطاء عن حُكم سماع الغناء» (ص٧٨) دون نسبتها لقائلها، وفيه ذكر (اللَّيالي)؛ بدل: (الدَّياجِي).

(٣) «مرآة الجَنان وعبرة اليقظان» لليافعيِّ (٤/ ٢٥٠).

(٤) «أعيان العصر» للصَّفديِّ (١/ ١٥٤).

(٥) دار المرضى ـ وهو مُعرَّبٌ ـ، وأصله: بيمارستان، وبيمار: المريض. وأستان: المأوى. كما في: «تاج العروس» للزَّبيديِّ (١٦/ ٥٠٠؛ مادَّة: مرس).

وأربعة أشهرٍ؛ وأربعة أو خمسة أيَّامٍ[1].

وصُلِّي عليه بالجامع الأُمويِّ (ضُحى يوم الأحد، ودُفن بسفح قاسيون؛ قبالة زاوية السُّيوفيِّ، وتقدَّم في الصَّلاة عليه: أبو الوليد المالكيُّ)[2] رحمه الله تعالى.

قال الحافظ الذَّهبيُّ رحمه الله تعالى: (ولا أعلم خلَّف بدمشق في طريقته مثله)[3].

رحمه الله تعالى برحمته التي وسعت العالمين، وأعلى سُبحانه درجته ورفع منزلته في المهديِّين، وأخلفه بُحسن كرمه في عقبه في الغابرين.

❑❑❑

(١) هذا عُمره تحديداً، وما ذُكر أعلاه تغليباً، وقد وَهَم الصَّفديُّ بقوله: (عاش بضعاً وسبعين سنة). كما في: «أعيان العصر» (١/ ١٥٤)، «الوافي بالوفيَّات» (٦/ ٢٢١).

(٢) «المُقتفى» للبرزاليِّ (٢/ ٢/ ١٩).

(٣) «الذَّيل» لابن رجبٍ (٢/ ٣٦٠).

تَعْرِيفٌ بِالمُؤَلَّفِ(١)

رسائل المُؤلَّف:

قد اشتمل هذا المُؤلَّف اللَّطيف؛ بين دفَّتيْه على ثلاثة تصانيف:

أوَّلها: «تَلْقِيحُ الأَسْرَارِ بِلَوَامِعِ الأَنْوَارِ لِلْعُلَمَاءِ الأَبْرَارِ».

---

(١) قال العبد الفقير إلى غنى ربِّه العليِّ؛ وليد بن مُحمَّد بن عبد الله العليُّ: ختمت قراءة الرَّسائل الثَّلاث بمسجد الله الحرام؛ بعد فراغي من أداء العمرة وأنا مُتسربلٌ بالإحرام، وذلك في صحن حرم الله تعالى أفضل المساجد؛ ومهوى فُؤاد كُلِّ طائفٍ وعاكفٍ وراكعٍ وساجدٍ، عصر يوم الأحد ٢١ رمضان ١٤٣٤هـ؛ المُوافق ٢٨ تموز (يوليو) ٢٠١٣م.
وبمعيَّتي الوالد الكريم مُحمَّد بن عبد الله العليِّ؛ وبصُحبتي الجدِّ الحليم يُوسف بن أحمد العليِّ، أحسن الرَّبُّ تعالى في الدَّاريْن إليهما؛ وأسبغ نعمه الظَّاهرة والباطنة عليهما.
وذلك بحُضور الأخوة الأجلاء؛ ومُشاركة المشايخ النُّبلاء: الشَّيخ نظام بن مُحمَّد صالح يعقوبي؛ الشَّيخ مُحمَّد بن ناصر العجميُّ؛ الدُّكتور عبد الله بن حمد المُحارب؛ الدُّكتور عبد الرَّؤوف بن مُحمَّد الكمالي؛ الشَّيخ هاني بن عبد العزيز ساب؛ الشَّيخ عبد الله بن أحمد التُّوم؛ الشَّيخ إبراهيم بن أحمد التُّوم، أحسن الله سُبحانه وتعالى إليهم جميعاً في منازل الدَّاريْن، وآتاهم من حسناتهما ما يطمئنُّ به القلب وتقرُّ به العيْن.
فالحمد لله ربِّ العالمين، وصلى الله وسلَّم على خاتم النَّبيِّين؛ وعلى آله الطيِّبين؛ وأزواجه المُطهَّرين؛ وأصحابه الغُرِّ الميامين؛ ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدِّين.

وثانيها: «حَيَاةُ القُلُوبِ وَعِمَارَةُ الأَنْفَاسِ فِي سُلُوكِ الأَذْكِيَاءِ الأَكْيَاسِ».

وثالثها: «عُمْدَةُ الطُّلابِ مِنْ مُؤْمِنِي أَهْلِ الكِتَابِ المُشْتَاقِينَ إِلَى ذَوْقِ الأَحْبَابِ الرَّاغِبِينَ فِي رُسُوخِ دِيْنِ الإِسْلامِ فِي السَّرَائِرِ والأَلْبَابِ».

نسبة المُؤلَّف للمُؤلِّف:

هذه الرَّسائل الثَّلاث قد ثبتت نسبتها لمُؤلِّفها رحمه الله تعالى، وصحَّت من دلالة العبارة العذبة والأُسلوب الحسن؛ إذ قد كُسيت كلمات الرَّسائل بعبارةٍ وأُسلوبٍ يظهر فيها التَّشابه الكبير والتَّقارب الواضح بينها وبين غيرها من رسائل المُؤلِّف المطبوعة، وهذا الوجه من الأوجه المُعتبرة في إثبات نسبة رسالةٍ ما لمُؤلِّفها؛ إذ أنَّ عبارات المُؤلِّفين في رسائلهم؛ وأساليبهم في كُتبهم تتشابه إلى حدٍّ كبيرٍ، كما أنَّها تُلقي في الرُّوع غلبة الظَّنِّ، وعليه فإنَّه يُمكن للقارئ أن يُطابق بين العبارتيْن؛ ويُقارن بين الأُسلوبيْن: ليطمئنَّ إلى صحَّة نسبة هذه الرَّسائل إلى مُؤلِّفها.

موضوع المُؤلَّف:

* **الرِّسالة الأُولى**:

«تَلْقِيحُ الأَسْرَارِ بِلَوَامِعِ الأَنْوَارِ لِلْعُلَمَاءِ الأَبْرَارِ»، وقد جعل المُؤلِّف رحمه الله تعالى رسالته في فاتحةٍ؛ وثمانية فُصولٍ؛ وخاتمةٍ، ومُجمل هذه الفُصول فيما يأتي:

الفصل الأوَّل: إذا أراد الله بعبدٍ خيراً أقام في قلبه باعثاً يطلب القُرْب منه، وهمَّة تتعلَّق بمحبَّة مُشاهدته.

الفصل الثَّاني: تحصيل العلم ونشره ودعوة الخلق إليه لإعلاء كلمة الله وذكره على خاصَّة نفسه وأهله أوَّلاً، ثُمَّ على من أقدره الله عليه من الخلق ثانياً.

الفصل الثَّالث: تأمُّل النُّصوص الواردة عن الله تعالى وعن رسوله في صفاته المُقدَّسة.

الفصل الرَّابع: ضبط ألفاظ الكتاب والسُّنَّة وحلُّ معانيهما، والوُقوف معهما بلا انحرافٍ عنهما.

الفصل الخامس: علامة العالم العارف: أن ينشرح صدره بنُور الإيمان، وتُفتح بصيرته لتأمُّل العرفان.

الفصل السَّادس: حال المحجوب كحالِ محبوسٍ في بيتٍ مُظلمٍ، يتصرَّف في حوائجه وشُؤونه كما يتقلَّب الأعمى في أُموره.

الفصل السَّابع: الموهبة السَّنيَّة والمرتبة العليَّة عند الله والتي قصرت الهمم عن طلبها، وعميت البصائر عن تصوُّرها وعظيم خطرها.

الفصل الثَّامن: من رزقه الله تعالى شوقاً إلى هذه الرُّتبة العالية، فعليه أن يعتمد خصالاً يكمل بها بعون الله أمرُه؛ ويتمُّ بها سعيُه.

*** الرِّسالة الثَّانية:**

«حَيَاةُ القُلُوبِ وَعِمَارَةُ الأَنْفَاسِ فِي سُلُوكِ الأَذْكِيَاءِ الأَكْيَاسِ»، وقد ذكر المُؤلِّف رحمه الله تعالى فيها: أنَّها طريقٌ مُختصرٌ إلى الله تعالى لمن كَاسَ وعَقَلَ وفَهِمَ المُراد وعمل ـ إذا أعان الله وخلق في العبد استعداداً ـ، يختصر له الطَّريق؛ ويُقرِّب له ما بَعُد بأسباب التَّوفيق.

وقد جعل رسالته في فاتحةٍ؛ وفصليْن؛ وخاتمةٍ، ومُجمل هذيْن الفصليْن فيما يأتي:

الفصل الأوَّل: أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً ﷺ بعثه الله تعالى على فترةٍ من الرُّسل، شهدت الفطرة الصَّحيحة بصدق نُبوَّته، وذلك لأُمورٍ غير المُعجزات الخارقة للعوائد؛ التي تواتر النَّقل بها عن غير واحدٍ.

الفصل الثَّاني: تأمَّل كُتب السُّنَّة والحديث واختلاف رُواتها وشُيوعهم في الأمصار والبُلدان والآفاق في شرق الأرض وغربها، وكيفيَّة اتِّفاقهم على هذه الأُصول.

*** الرِّسالة الثَّالثة:**

«عُمْدَةُ الطُّلابِ مِنْ مُؤْمِنِي أَهْلِ الكِتَابِ المُشْتَاقِينَ إِلَى ذَوْقِ الأَحْبَابِ الرَّاغِبِينَ فِي رُسُوخِ دِيْنِ الإِسْلامِ فِي السَّرَائِرِ والأَلْبَابِ»، وقد جعل المُؤلِّف رحمه الله تعالى رسالته في فاتحةٍ؛ وأربعة عشر فصلاً؛ وخاتمةٍ، ومُجمل هذه الفُصول فيما يأتي:

الفصل الأوَّل: ليعلم المُؤمن أنَّ هذا الدِّين له ظاهرٌ وباطنٌ؛ وصوانٌ ولُبابٌ؛ وأساسٌ وذِروةٌ، فالمُوفَّق من لم يقنع من هذا الدِّين بظاهره حتَّى يتحقَّق بحقائق أسراره وباطنه.

الفصل الثَّاني: من أراد تحقيق هذا الدِّين؛ والوُصول إلى ذوق المُحبِّين، فعليه في أوَّل الأمر إخلاص النِّيَّة وتصفيتها من الشَّوائب، فإنَّ الأعمال بالنِّيَّات، ولكُلِّ امرئٍ ما نوى.

الفصل الثَّالث: على العلم يترتَّب العمل، وعليهما ترتقي مباني العُبوديَّة؛ التي من وصل إليها استقرَّ دينه؛ وقوي تمكينه، وطلعت عليه شُموس العرفان، وبزغت في سرِّه أقمار الإيقان.

الفصل الرَّابع: من صحَّح النِّيَّة في الابتداء؛ وأتقن العلم في التَّوسُّط: فعليه حينئذٍ التَّكميل بالعمل.

الفصل الخامس: إذا وفَّق الله العبد لتصحيح النِّيَّة في القُصُود؛ وتحصيل العُلوم النَّافعة لمُعاملة المعبود؛ واستعمال الجوارح بالمأمورات؛ وذبِّها عن المُخالفات، استقام العبد على سواء السَّبيل، ولا يتمُّ ذلك إلَّا بالاستعانة بالله تعالى والصَّبر.

الفصل السَّادس: ليعلم، أنَّ أهمَّ مسألةٍ في الاعتقاد: الإيمان بمسألة العرش وتحقيقها ـ علماً وتصديقاً ـ؛ لأنَّها أصلٌ من أُصول السَّالكين؛ السَّائرين إلى طريق قُرب ربِّ العالمين.

الفصل السَّابع: أكمل أسباب الاستعداد لهذا الشَّأن: امتلاء القلب بحُبِّ الرَّسول ﷺ؛ بحيث يجعله السَّالكُ إمامَه ومتبوعَه في كُلِّ شيءٍ، يراه بعين قلبه؛ ويُصغي إلى أوامره عند حركاته وسكناته.

الفصل الثَّامن: ليعلم العبد أنَّه إذا دخل في هذا المنزل: فقد ولج في ملكوت السَّماوات وفارق أهل الأرض من أكثر الوُجوه، ودخل في عوالم الآخرة، فقلبه عند ربِّه في الدَّار الآخرة؛ وجسده بين أهل الأرض في الدُّنيا.

الفصل التَّاسع: لا بُدَّ لطالب الحقائق الذَّوقيَّات مع قطع العلائق من وقتٍ يخلو فيه بربِّه؛ ويجمع همَّه على صفا ذكره، ليتوحَّد قصده ويصفو قلبه.

الفصل العاشر: توخِّي الأوقات الفاضلة؛ مثل الثُّلث الأخير من

اللَّيل، ويوم الجُمعة عند اجتماع النَّاس إلى انقضاء الصَّلاة، ويوم عرفة، وأوقات الصَّلوات الخمس.

الفصل الحادي عشر: إذا ظهر للقلب صفة الرُّبوبيَّة؛ فعند ذلك يستسلم العبد له حقيقة الاستسلام، ويُفوِّض إلى ربِّه في المقادير والأحكام.

الفصل الثَّاني عشر: قُوَّة المعرفة وزيادة المحبَّة والتَّعظيم والابتهاج بالرَّبِّ الكريم وبقُربه ومُلاطفاته؛ وقبضه وبسطه؛ وتصرُّفه بما يشاء من الاصطناع والمحبَّة الخاصَّة.

الفصل الثَّالث عشر: جميع ما شُرح من الأنوار والمعارف هي مَثَلٌ يقوم بقُلُوبهم من أمثلة العظمة.

الفصل الرَّابع عشر: اعتقاد أهل السُّنَّة أنَّ الرَّبَّ تعالى فوق عرشه بائنٌ من خلقه.

مصدر المُؤلَّف:

تتلخَّص المعلومات المُتعلِّقة بمصدر المُؤلَّف في كونه قد استخرجت رسائله الثَّلاث من مجموعٍ مُودعٍ في (مكتبة حاجي سليم آغا) في إسطنبول، وهي إحدى مكتبات الإدارة العامَّة للمكتبات؛ التَّابعة لوزارة الثَّقافة التُّركيَّة، ورقم هذا المجموع (٤٠٤)[١]،

---

(١) أكرمني بصورةٍ من نُسخ الرَّسائل الخطِّيَّة: من له بالعلم بالغ عنايةٍ؛ وبأهله سابغ رعايةٍ، الشَّيخ الجليل؛ والأخ النَّبيل: مُحمَّد بن ناصرٍ العجميُّ؛ حفظه الله تعالى ورعاه، وبارك في جهده ومسعاه.

وقد رُقِمَ هذا المجموع بخطٍّ مشرقيٍّ مُعتاد، وتقع هذه الرَّسائل الثَّلاث في عشرين ورقة، ومُسطَّرتها (٢٣) سطراً، وعدد كلماتها المُودعة في أسطرها تتراوح ما بين (١٠ ـ ١٤) كلمة، وإليك صُور أوائل وأواخر هذه الرَّسائل الثَّلاث:

❑❑❑

صُورة عُنوان وفاتحة الرِّسالة الأُولى

صُورة خاتمة الرِّسالة الأُولى؛ وعُنوان وفاتحة الرِّسالة الثَّانية

صُورة خاتمة الرِّسالة الثَّانية، وبعدها كتاب «الصحو والسكر»

صُورة عُنوان وفاتحة الرِّسالة الثَّالثة

صُورة خاتمة الرِّسالة الثَّالثة

لقاء العشر الأواخر
بالمسجد الحرام
(٢٢٤)

تلقيح الأسرار بلوامع الأنوار للعلماء الأبرار

تأليف

الإمام الزاهد الناسك، والعالم العابد السالك
عماد الدين أبي العباس أحمد بن إبراهيم الواسطي
المعروف بابن شيخ الحزاميين
(٦٥٧ - ٧١١ هـ)

تحقيق وتعليق

الدكتور وليد بن محمد بن عبد الله العلي

كتاب تلقيح الأسرار بلوامع الأنوار للعلماء الأبرار
نفع الله به من تأمَّله من عباده بفضله وامتنانه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نوَّر بصائر المُؤمنين بضياء الإيمان، وألهب أسرار المُوقنين بشهاب الإيقان، وأطلع على أرواح العارفين شمس العرفان، وجذب قُلوب المُحبِّين إلى أوطان القُرْب عن كُلِّ محبوبٍ من الأكوان، واصطنعهم لنفسه فعاشوا في قُرْبه في أرغد عيشٍ وأقدس مكان، وأقامهم في عُبوديَّته بين خلقه وبريَّته يعمرون ما خَرِبَ من القُلوب والأديان، أولئك خُلفاؤه على عباده وورثة أنبيائه فبهم تقوم الأرض ويستنير الزَّمان.

وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له الرَّبُّ العظيم المَلِك الدَّيَّان.

وأشهد أنَّ مُحمَّداً عبده ورسوله سيِّد ولد آدم ونُخبة بني عدنان.

صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة دائمة إلى يوم العرض على الرَّحمن.

وبعد:

فإنَّه ورد في الحديث الصَّحيح عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: **«مثل ما بعثني الله به من الهُدى والعلم: كمَثَل الغيث الكثير أصاب أرضاً، وكانت طائفةٌ منها طيِّبةٌ قبلت الماء؛ فأنبتت الكلأ والعُشب**

الكثير، وكانت منها طائفةٌ أجاذبُ أمسكت الماء؛ فنفع الله بها النَّاس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفةً أُخرى إنَّما هي قيعانٌ؛ لا تُمسك ماء ولا تُنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه بما بعثني الله به فعَلِمَ وعَلَّمَ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هُدى الله الذي أُرسلت به»(١).

وقال ﷺ: «من دلَّ على خيرٍ: فله مِثْل أجر فاعله»(٢).

---

(١) أخرجه البُخاريُّ في «صحيحه» [كتاب العلم/ باب فضل من عَلِمَ وعَلَّم ـ الحديث رقم (٧٩) ـ ١/ ٥٣]، ومُسلمٌ في «صحيحه» [كتاب الفضائل/ باب بيان مَثَل ما بُعث به النَّبيُّ ﷺ من الهُدى والعلم ـ الحديث رقم (٢٢٨٢) ـ ٤/ ١٧٨٧ ـ ١٧٨٨] عن أبي مُوسى الأشعريِّ رضي الله عنه، ولفظ مُسلمٍ: «إنَّ مثل ما بعثني الله به عزَّ وجلَّ من الهُدى والعلم؛ كمَثَل غيثٍ أصابَ أرضاً، فكانت منها طائفةٌ طيِّبةٌ قبلت الماء؛ فأنبتت الكلأ والعُشب الكثير، وكان منها أجادبُ أمسكت الماء؛ فنفع الله بها النَّاس فشربوا منها وسقوا ورعوا، وأصاب طائفة منها أُخرى إنَّما هي قيعانٌ؛ لا تُمسك ماء ولا تُنبت كلأ، فذلك مَثَل من فقه في دين الله ونفعه بما بعثني الله به فعَلِم وعلَّم، ومَثَل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هُدى الله الذي أُرسلت به».

(٢) أخرجه مُسلمٌ في «صحيحه» [كتاب الإمارة/ باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوبٍ وغيره وخلافته في أهله بخيرٍ ـ الحديث رقم (١٨٩٣) ـ ٣/ ١٥٠٦] عن أبي مسعودٍ الأنصاريِّ رضي الله عنه، ولفظه: «جاء رجلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ فقال: إنِّي أُبْدِعَ بي ـ أي: انْقُطِع بي لكَلال راحلَتي ـ ؛ فاحملني. فقال: ما عندي. فقال رجلٌ: يا رسول الله؛ أنا أدلُّه على من يحمله. فقال رسول الله ﷺ: من دلَّ على خيرٍ: فله مثل أجر فاعله».

وقال ﷺ: «من سنَّ في الإسلام سُنَّة حسنة؛ فله أجرها وأجر من عمل بها؛ من غير أن ينقص من أُجورهم شيءٌ، ومن سنَّ في الإسلام سنَّة سيِّئة؛ كان عليه وزرها ووزر من عمل بها؛ من غير أن ينقص من أوزارهم شيءٌ»(١).

وفي الحسان عن رسول الله ﷺ قال: «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً؛ سلك الله به طريقاً من طُرق الجنَّة، وإنَّ الملائكة لتضع

---

(١) أخرجه مُسلمٌ في «صحيحه» [كتاب الزَّكاة/ باب الحثِّ على الصَّدقة ولو بشقِّ تمرةٍ أو كلمةٍ طيِّبةٍ وأنَّها حجابٌ من النَّار ـ الحديث رقم (١٠١٧) ـ ٢/ ٧٠٤ ـ ٧٠٥] عن جرير بن عبد الله البجليِّ رضي الله عنه، ولفظه: «كُنَّا عند رسول الله ﷺ في صدر النَّهار، قال: فجاءه قومٌ حُفاةٌ عُراةٌ؛ مُجتابي النِّمار ـ أي: الأكسية التي فيها خُطوطٌ بيضٌ وسُودٌ ـ أو العباء مُتقلِّدي السُّيوف، عامَّتهم من مُضَرٍ؛ بل كُلُّهم من مُضَرٍ، فتمعَّر وجه رسول الله ﷺ لِمَا رأى بهم من الفاقة، فدخل ثُمَّ خرج، فأمر بلالاً فأذَّن وأقام؛ فصلَّى ثُمَّ خطب فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ إلى آخر الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سُورة النِّساء: الآية ١]، والآية التي في الحشر: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [سُورة الحشر: الآية ١٨]، تصدَّق رجلٌ من ديناره؛ من درهمه؛ من ثوبه؛ من صاع بُرِّه؛ من صاع تمره، حتَّى قال: ولو بشقِّ تمرةٍ. فجاء رجلٌ من الأنصار بِصُرَّةٍ ـ كادت كفُّه تعجز عنها؛ بل قد عجزت ـ، قال: ثُمَّ تتابع النَّاس؛ حتَّى رأيت كَوْمَيْن من طعامٍ وثيابٍ، حتَّى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلَّل؛ كأنَّه مُذْهَبَةٍ، فقال رسول الله ﷺ: من سنَّ في الإسلام سُنَّة حسنة: فله أجرها وأجر من عمل بها بعده؛ من غير أن ينقص من أُجورهم شيءٌ، ومن سنَّ في الإسلام سُنَّة سيِّئة: كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده؛ من غير أن ينقص من أوزارهم شيءٌ».

أجنحتها رضاً لطالب العلم، وإنَّ العالم ليستغفر له من في السَّماوات ومن في الأرض؛ والحيتان في جوف الماء، وإنَّ فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإنَّ العُلماء ورثة الأنبياء، وإنَّ الأنبياء لم يُورِّثوا ديناراً ولا درهماً؛ وإنَّما ورَّثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظٍّ وافرٍ»(١).

وعنه ﷺ أنَّه قال: «خصلتان لا تجتمعان(٢) في مُنافقٍ: حُسْنُ

---

(١) أخرجه أحمد في «مُسنده» [الحديث رقم (٢١٧٦٣) ـ ٥/١٩٦]، وأبو داود في «سُننه» [كتاب العلم/ باب الحثِّ على طلب العلم ـ الحديث رقم (٣٦٤١) ـ ص٥٥١]، والتِّرمذيُّ في «سُننه» [كتاب العلم/ باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة ـ الحديث رقم (٢٦٨٢) ـ ص٦٠٤]، وابن ماجه في «سُننه» [أبواب السُّنَّة/ باب فضل العُلماء والحثِّ على طلب العلم ـ الحديث رقم (٢٢٣) ـ ص٥٦] عن أبي الدَّرداء رضي الله عنه، ولفظ أبي داود: «عن كثير بن قيسٍ قال: كُنتُ جالساً مع أبي الدَّرداء في مسجد دمشق، فجاءه رجلٌ فقال: يا أبا الدَّرداء؛ إنِّي جئتك من مدينة الرَّسول ﷺ لحديثٍ بلغني أنَّك تُحدِّثه عن رسول الله ﷺ؛ ما جئت لحاجةٍ. قال: فإنِّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله عزَّ وجلَّ به طريقاً من طُرق الجنَّة، وإنَّ الملائكة لتضع أجنحتها رضاً لطالب العلم، وإنَّ العالم ليستغفر له من في السَّماوات ومن في الأرض؛ والحيتان في جوف الماء، وإنَّ فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإنَّ العُلماء ورثة الأنبياء، وإنَّ الأنبياء لم يُورِّثوا ديناراً ولا درهماً؛ ورَّثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظٍ وافرٍ).

(٢) في النُّسخة الخطِّيَّة: (يجتمعان).

سَمْتٍ؛ ولا فِقْهٌ في الدِّين»[1].

وعنه ﷺ قال: **«من يخرج في طلب العلم: فهُو في سبيل الله حتَّى يرجع»**[2].

وعنه ﷺ قال: **«لن يشبع المُؤمن من خيرٍ يسمعه؛ حتَّى يكون مُنتهاه الجنَّة»**[3].

وعنه ﷺ قال: **«من طلب العلم ليُجاري**[4] **به العُلماء، أو ليُماري به السُّفهاء، أو ليصرف به وُجوه النَّاس؛ أدخله الله النَّار»**[5].

---

(١) أخرجه التِّرمذيُّ في «سُننه» [كتاب العلم/ باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة ـ الحديث رقم (٢٦٨٤) ـ ص٦٠٥] عن أبي هُريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه التِّرمذيُّ في «سُننه» [كتاب العلم/ باب فضل طلب العلم ـ الحديث رقم (٢٦٤٧) ـ ص٥٩٧] عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه، ولفظه: «**من خرج في طلب العلم كان في سبيل الله حتَّى يرجع**». قال أبو عيسى: (هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ، ورواه بعضهم فلم يرفعه). وفي إسناده: خالد بن يزيد، قال العُقَيْلِيُّ في «الضُّعفاء الكبير» (٢/ ١٧): (لا يُتابع على كثيرٍ من حديثه)، ثُمَّ أورد له هذا الحديث.

(٣) أخرجه التِّرمذيُّ في «سُننه» [كتاب العلم/ باب فضل الفقه على العبادة ـ الحديث رقم (٢٦٨٦) ـ ص٦٠٥] عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ رضي الله عنه، وفي إسناده: درَّاج أبو السَّمح، قال العُقَيْلِيُّ في «الضُّعفاء الكبير» (٢/ ٤٣): (حدَّثنا عبد الله بن أحمد؛ قال: سمعت أبي يقول: درَّاج أبو السَّمح أحاديثه مناكير).

(٤) في النُّسخة الخطِّيَّة: (ليحازي).

(٥) أخرجه التِّرمذيُّ في «سُننه» [كتاب العلم/ باب ما جاء فيمن يطلب بعلمه الدُّنيا ـ الحديث رقم (٢٦٥٤) ـ ص٥٩٨] عن كعب بن مالكٍ =

وعنه ﷺ قال: «**من تعلَّم علماً ممَّا يُبتغى به وجه الله؛ لا يتعلَّمه إلَّا ليُصيب به عَرَضاً من الدُّنيا: لم يجد عَرْف الجنَّة يوم القيامة**»(١).

يعني: ريحها(٢).

وقال ﷺ: «**نضَّر الله امرأً سمع مقالتي فحفظها ووعاها وأدَّاها، فرُبَّ حاملِ فقهٍ غير فقيهٍ، ورُبَّ حاملِ فقهٍ إلى من هُو أفقه منه**»(٣).

= رضي الله عنه، وابن ماجه في «سُننه» [أبواب السُّنَّة/ باب الانتفاع بالعلم والعمل به ـ الحديث رقم (٢٥٣؛ ٢٥٤؛ ٢٥٩؛ ٢٦٠) ـ ص٦٢ ـ ٦٣] عن عبد الله بن عُمر بن الخطَّاب؛ وجابر بن عبد الله؛ وحُذيفة بن اليمان؛ وأبي هُريرة رضي الله عنهُم، ولفظ التِّرمذيِّ: «**سمعت رسول الله ﷺ يقول: من طلب العلم ليُجاري به العُلماء؛ أو ليُماري به السُّفهاء؛ أو يصرف به وُجوه النَّاس إليه: أدخله الله النَّار**».

(١) أخرجه أحمد في «مُسنده» [الحديث رقم (٨٤٥٧) ـ ١٤/ ١٦٩]، وأبو داود في «سُننه» [كتاب العلم/ باب في طلب العلم لغير الله تعالى ـ الحديث رقم (٣٦٦٤) ـ ص٥٥٤]، وابن ماجه في «سُننه» [أبواب السُّنَّة/ باب الانتفاع بالعلم والعمل به ـ الحديث رقم (٢٥٢) ـ ص٦١]، عن أبي هُريرة رضي الله عنه.

(٢) قاله سُريج بن النُّعمان في حديثه.

(٣) أخرجه أحمد في «مُسنده» [الحديث رقم (٢١٥٩٠) ـ ٣٥/ ٤٦٧]، وأبو داود في «سُننه» [كتاب العلم/ باب فضل نشر العلم ـ الحديث رقم (٣٦٦٠) ـ ص٥٥٤]، والتِّرمذيُّ في «سُننه» [كتاب العلم/ باب ما جاء في الحثِّ على تبليغ السَّماع ـ الحديث رقم (٢٦٥٦) ـ ص٥٩٨]، وابن ماجه في «سُننه» [أبواب السُّنَّة/ باب من بلَّغ علماً ـ الحديث =

فصلٌ

إذا أراد الله بعبدٍ خيراً أقام في قلبه باعثاً يطلب القُرْب منه، وهمَّة تتعلَّق بمحبَّة مُشاهدته ﴿فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝٥٤ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾[1]، فيتجافى عن دار الغُرور؛ ويميل إلى دار الخُلود، ويستعدُّ للموت قبل نُزوله.

فذلك علامة من ﴿شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾[2].

= رقم (٢٣٠) ـ ص٥٨]، عن زيد بن ثابتٍ رضي الله عنه، ولفظ ابن ماجه: «**نضَّر الله امرأً سمع مقالتي فبلغَّها، فرُبَّ حامل فقهٍ ليس بفقيهٍ، ورُبَّ حامل فقهٍ إلى من هو أفقه منه**».

وأخرجه أحمد في «مُسنده» [الحديث رقم (٤١٥٧) ـ ٧/ ٢٢١]، والتِّرمذيُّ في «سُننه» [كتاب العلم/ باب ما جاء في الحثِّ على تبليغ السَّماع ـ الحديث رقم (٢٦٥٧، ٢٦٥٨) ـ ص٥٩٩]، وابن ماجه في «سُننه» [أبواب السُّنَّة/ باب من بلَّغ علماً ـ الحديث رقم (٢٣٢) ـ ص٥٨]، عن عبد الله بن مسعودٍ رضي الله عنه.

وأخرجه أحمد في «مُسنده» [الحديث رقم (١٣٣٥٠) ـ ٢١/ ٦٠]، وابن ماجه في «سُننه» [أبواب السُّنَّة/ باب من بلَّغ علماً ـ الحديث رقم (٢٣٦) ـ ص٥٩]، عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه.

وأخرجه أحمد في «مُسنده» [الحديث رقم (١٦٧٣٨) ـ ٢٧/ ٣٠٠ ـ ٣٠١]، وابن ماجه في «سُننه» [أبواب السُّنَّة/ باب من بلَّغ علماً ـ الحديث رقم (٢٣١) ـ ص٥٨]، عن جُبير بن مُطعمٍ رضي الله عنه.

(١) سُورة القمر: الآيتان ٥٤ ـ ٥٥.

(٢) سُورة الزُّمر: الآية ٢٢.

فمن رزقه الله تعالى هذه الهمَّة النَّفيسة والمطلب العليَّ ـ الذي هُو غاية الغايات؛ ومُنتهى الطَّلبات ـ؛ استقامت همَّته؛ وعلا شأنها، كما قيل[1]:

يا مطلباً ليس لي في غيره أربٌ إليك آلَ التَّقصِّي وانتهى الطَّلبُ
وما طمحت إلى مَرْأًى ومُسْتَمَعٍ إلَّا لمعنى إلى عليائك ينتسبُ

وإنَّ الله تعالى قد جعل لكُلِّ مطلبٍ طريقاً، وخلق لكُلِّ مرغوبٍ إليه دليلاً يدلُّ عليه، ونصب له عَلَماً يُقْصَد إليه؛ لُطفاً منه ورحمة بعباده، وعلى قدر عُلوِّ العبد في القُرْب ينال عليَّ الدَّرجات، وعلى قدر بُعده عنه ينحطُّ في الدَّركات.

فصلٌ

وأقصد الطَّريق في ذلك تحصيل العلم ونشره ودعوة الخلق إليه؛ لإعلاء كلمة الله وذكره، وإقامة الحقِّ الذي هُو دين الله على خاصَّة نفسه وأهله أوَّلاً، ثُمَّ على من أقدره الله عليه من الخلق ثانياً؛ فإنَّ العُلماء ورثة الأنبياء، بالعلم يُعرف الله تعالى؛ وبه يُطاع؛ وبه يُسترشد.

---

(١) هُو أبو عبد الله مُحمَّد بن عبد المُنعم الأنصاريُّ؛ المعروف بابن الخَيْمِيِّ؛ في مطلع قصيدته البديعة الغرَّاء التي سارت، كما في: «ذيل مرآة الزَّمان» لليُونيني (٤/ ٣٠٢)، «نهاية الأرب» للنُّوَيْري (٣١/ ١٣٦)، «تاريخ الإسلام» للذَّهبيِّ [حوادث ووفيَّات ٦٨١ ـ ٦٩٠: ص٢٣٨]، «فوات الوفيَّات» للكُتْبِيِّ (٣/ ٤١٤)، «الوافي بالوفيَّات» للصَّفديِّ (٤/ ٥١)، «طبقات الشَّافعيَّة الكُبرى» للسُّبكيِّ (٩/ ٢٥٩)، «تاريخ ابن الفُرات» (٨/ ٤٢)، «معاهد التَّنصيص» للعبَّاسيِّ (ص٢٨٤)، «الكشكول» للعامليِّ (ص٢٧٠).

ومن يُحقِّق بذلك نيَّة وعلماً وعملاً وحالاً ودعوة وسياسة، كان صدِّيقاً، وليس فوق رُتبة الصِّدِّيقيَّة إلَّا النُّبوَّة.

وطريق كمال الاستعداد لذلك **أصلان**:

أحدهما: معرفة الله تعالى ذوقاً وحالاً؛ بعد العلم به اعتقاداً ونظراً.

والثَّاني: معرفة عبادته؛ ووضعها موضعها في أحايِينها[1] على تراتيبها المشروعة، وقوانينها المسموعة.

وغالب النَّقص والانحراف إنَّما دخل على الأُمَّة من الجهل بهما أو بأحدهما، فمن وُفِّق لمعرفة الله تعالى العلميَّة؛ وترقَّى منها ونفذ إلى المعرفة الحاليَّة الذَّوقيَّة؛ وُفِّق لمعرفة كيفيَّة عبادته المشروعة في كتابه وسُنَّة رسوله، واستقام[2] على سواء السَّبيل إذا ساعده التَّوفيق بالعمل الصَّحيح، كما وُفِّق للعلم الصَّحيح، فالعُلوم إنَّما تُحقِّقها الأعمال، وبالله المُستعان.

فصلٌ

والطَّريق إلى معرفة الله تعالى الحاليَّة الذَّوقيَّة؛ التي من اتَّصف بها سُمِّي عارفاً: **تأمُّل النُّصوص الواردة عن الله تعالى وعن رسوله في صفاته المُقدَّسة**، والتَّحديق إليها ببصر الإيمان في الخلوات، وخالص العبادات من الأذكار والصَّلوات والخُشوع في التَّوجُّهات، فبذلك يُرجى أن ينكشف لقلبه أنوارها، ويُنازله منها ما لا تراه العُيون

---

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة: (أحانينها).

(٢) في النُّسخة الخطِّيَّة: (رسوله استقام).

من واضح آثارها، فإنَّ رسول الله ﷺ وصف ربَّه بأكمل المعارف وأتمِّ الصِّفات؛ لأنَّه كان أعلم البريَّة بربِّه، فما من صفةٍ ذكرها ونبَّه عليها إلَّا وهي مرقاةٌ لقلب الصَّادق إلى معرفة ربِّه؛ إذا اتَّصف بالصِّدق في تلقِّيها وقبولها أوَّلاً، ثُمَّ اتَّصف بالصِّدق في التَّوجُّه إلى الموصوف بها ثانياً.

ومن انحرف في هذا الشَّأن عمَّا أشار إليه الرَّسول ﷺ؛ وعدل عنه، قد ينقص بعض النُّفوذ، مع انحراف ظاهرٍ أو كامنٍ[1]؛ لأنَّه عدل عن المحجَّة التي فتحها إليه، والوجه الذي ظهر منها إلى وسائط بينه وبينه يُحال دُونه من بعض الوُجوه؛ لا من جميعها، فبذلك يكون انحرافه.

فصلٌ

والطَّريق إلى معرفة دين الله: **ضبط ألفاظ الكتاب والسُّنَّة وحلُّ معانيهما، والوُقوف معهما بلا انحرافٍ عنهما**، ولا بأس بالاتِّساع في العُلوم المُنحرفة عنهما إذا كان القلب واقفاً معهما لا يستعمل غيرهما، ويتعرَّف بتلك العُلوم مذاهب الأضداد؛ ليقوى على الرَّدِّ عليهم لإحاطته بأغوارهم، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ﴾[2].

فالعالم إذا لم يعرف ألسنة قومه وعُلومهم، لا يقوى على البيان لهم.

---

(١) أي: خَفِيٌّ.

(٢) سُورة إبراهيم: الآية ٤.

فصلٌ

وعلامة العالم العارف أن ينشرح صدره بنُور الإيمان، وتُفتح بصيرته لتأمُّل العرفان، ويُقيمه الله تعالى بين يديه عبداً له، يعبده بما أمره به، ويقصد وجهه الكريم في سائر توجُّهاته ومساعيه الظَّاهرة والباطنة، قال الله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾[1].

فهُو عبدٌ أخرجه الله تعالى من الظُّلمات إلى النُّور، ومن ظُلمات الطَّبع وحُجُب الهوى وغان[2] الرَّيب وحال الرَّدى إلى أنوار المعرفة والقُرْب والهُدى، صار الخَبَر لديه خُبْراً؛ والصِّفة ذوقاً ووُجداناً، فاستنار باطنه بأنوار الله المخزونة التي يمنُّ بها على من يشاء من عباده.

فصلٌ

والمحجوب عن ذلك حاله كحالِ محبوسٍ في بيتٍ مُظلمٍ، يتصرَّف في حوائجه وشُؤونه، تارة بحدسه، وتارة بفكره، وتارة بلمسه، **كما يتقلَّب الأعمى في أُموره.**

ومن دفع الحجاب عن قلبه؛ كان حاله كحال من فُتحت له في ظُلمة ذلك البيت كُوَّة؛ سقط منها في البيت الشَّمس وشُعاعها، فأبصر من نفسه وهواه وشيطانه وعزائمه وسُباته؛ وبما كان عنه قبل ذلك خَفِيًّا، واستراح في تصرُّفاته بنُور عرفانه وشعاع إيمانه.

---

(١) سُورة النَّجم: الآية ٣٩.

(٢) الغيْن: السَّحاب وهُو الغيم.

ومن كان محجوباً عن نُور الإيمان؛ حظُّه منه مُجرَّد التَّصديق، فمِثْلُه يكون غالباً محجوباً عن آفات نفسه وشُؤونها وحركات الهوى والطَّبع ونزغات الشَّيطان ولمَّاته، فتخطفه الأعداء من كُلِّ جانبٍ، وتلدغه عقارب النَّفس والهوى وهُو لا يُبصرها، ويعصي ربَّه بهُمومه وعزائمه وإراداته ولا شُعور له ببُعده بذلك عن ربِّه، فإذا فتح الله قلبه لأنوار معرفته، أشرق باطنه بأنوار العزَّة وأشعة العظمة الإلهيَّة.

فيُضيء له في تلك الأنوار أسرار الشَّريعة المُحمَّديَّة ومقاصدها، وما يخصُّ نفسه منها، وما يعمُّ الكافَّة من حُكمها، فينهض لله تعالى بحُكم العُبوديَّة على نفسه وأهله أوَّلاً، ثُمَّ على من عمَّ ثانياً، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾(١).

ويتطهَّر باطنه من ذلك الدَّنس الذي كان فيه، ويُفتح له باب النِّيَّة وصحَّة العزم، ويصير قوَّاماً بعقله على هواه وخاطره، يتَّقي الله تعالى في هُمومه وإراداته، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾(٢). وقال تعالى: ﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ﴾(٣).

---

(١) سُورة التَّحريم: الآية ٦.
(٢) سُورة الملك: الآيتان ١٢ ـ ١٣.
(٣) سُورة الأنعام: الآية ١٢٠.

فصلٌ

وهذه هي الموهبة السَّنيَّة والمرتبة العليَّة عند الله، وقد قصرت الهمم في زماننا عن طلبها، وعميت البصائر عن تصوُّرها وعظيم خطرها، فَقَلَّ أن ترى من يعرفها علماً؛ ويشتاق إليها حُبًّا؛ فضلاً عمَّن يشتاق إليها حالاً ووجْداً، إلَّا أفراداً اختصَّهم الله تعالى ليُحْيِي بهم دينه؛ ويُقيم بهم شعائره؛ ويُقوِّم بهم اعوجاج عباده، فهُم خُلفاء الرُّسل، وَصْفُهُم الصِّدِّيقيَّة، استودعهم الله أسرار دينه وأحكام شريعته ليهتدي بهم العباد؛ وتستنير بهم البلاد، فهُم مصابيح أهل الأرض بهم يهتدون، كالنُّجوم في السَّماء بها يستدلُّ الحائرون: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[1].

فصلٌ

ومن رزقه الله تعالى شوقاً إلى هذه الرُّتبة العالية؛ وفتح لقلبه منها ذوقاً يستدلُّ ببعضها على كُلِّها، **فعليه أن يعتمد خصالاً يكمل بها بعون الله أمرُه؛ ويتمُّ بها سعيُه**، ويترقَّى بها إلى الذُّروة العُليا من هذا الشَّأن:

أوَّلها: النِّيَّة وإخلاصها وكمالها في تحصيل العلم:

* **أمَّا إخلاصها**: فيُصفِّيها من مُلاحظة الخلق وشوائب النَّفس.

* **وأمَّا كمالها**: فهُو أن يُقصد الأمران معاً: النَّفع الخاصَّ؛ مع النَّفع المُتعدِّي العام، فمن طلب العلم ليهتدي به، رزقه الله تعالى فهماً يهتدي به، ومن طلبه ليهتدي به؛ ويهدي به معاً: أمدَّه بفهمٍ يقوى به عليها.

---

(١) سُورة الحديد: الآية ٢١، سُورة الجُمعة: الآية ٤.

وهذه فائدةٌ يَعِزُّ الشُّهود بها في مبادئ الأُمور، ويُعرف ذوقُها باستعمالها؛ فإنَّ النِّيَّة الخاصَّة لها كيفيَّةٌ بذاتها، والنِّيَّة الخاصَّة والعامَّة لها بمجموعها كيفيَّةٌ أُخرى وخاصيَّةٌ في المُعاملة مع الله تعالى، والله تعالى يُحبُّ معالي الأُمور. وبالضَّرورة: النِّيَّةَ الكاملة أعلى من النَّاقصة.

الثَّانية: الاعتناء بمعرفة سيرة النَّبيِّ ﷺ:

فإنَّها مفتاح الإسلام، وأساس الإيمان، عليها ترتفع قواعده، ومن أصلها تتشعَّب فُروعه، فمن وُفِّق للتَّفقُّه فيها؛ عرف ابتداء ظُهور النُّبوَّة؛ كيف ظهرت؟ وعلم ابتداء طُلوع شمسها وبُزوغ قمرها وكيفيَّة استعلان الحقِّ من جبال فاران؛ كما جاء في الكُتب السَّالفة ـ وأظنُّه في التَّوراة ـ: (جاء الله من طُور سيناء، وأشرق من ساعير، واستعلن بجبال فاران)[1].

فالأولَّ: ظُهور مُوسى.

والثَّاني: إشارةٌ إلى ظُهور عيسى.

والثَّالث: إشارةٌ إلى ظُهور مُحمَّدٍ صلَّى الله عليه وعليهم أجمعين.

فمن أعظم أسباب رُسوخ الإيمان في القلب ـ مع مشيئة الله تعالى ـ: رُسوخ معرفة النُّبوَّة في القلب، فمتى أيقن القلب بالنُّبوَّة يقيناً

---

(١) انظر: العهد القديم: سفر التَّثنية/ الإصحاح الثَّالث والثَّلاثين/ الفقرة الثَّانية.

تامًّا؛ كان التَّوحيد والإيمان بما غاب عن البصر من لوازمها؛ لأنَّها أنبأت عنه، ودعت إلى الإيمان به.

والنُّبوَّة مرقاةٌ ومعراجٌ إلى العلم بالله وإلى معرفته، بها عُرف الله وعُبد، ورُبَّما كان نفع معرفة السِّيرة وحال النُّبوَّة في سكرات الموت أشدَّ، وحاجة العبد إليه في ذلك الموطن آكد، فهُنالك قد تعترض الشُّكوك، ويأتي الشَّيطان بالوساوس في الدِّين، ورُبَّما عُرضت عليه الأديان؛ وزُيِّنت له، فإذا كان العبد في ذلك الموطن مفتقراً إلى الله تعالى؛ مُتضلِّعاً من علم ابتداء النُّبوَّة ومُعجزاتها وخوارق عاداتها الثَّابتة؛ لم يتطرَّق إلى قلبه الوساوس، ولم تتزيَّن[1] لقلبه الأديان المنسوخة، فما أحسن الاستعداد بالزَّاد التَّام لمثل هذه المواطن، قال الله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾[2].

ومن كان له من الإيمان ذوقٌ؛ فإنَّ تَكَمُّلَه وتتمَّته برُسوخ علم ابتداء النُّبوَّة وانتهائها في قلبه من حين ظهر ﷺ؛ بل من حين ولادته، إلى حين بُلوغه ومنشئه[3]، إلى حين مبعثه وظُهور مُعجزاته وآياته، إلى حين مُهاجرته ومُجاهدته للكُفَّار في إقامة دين ربِّه، إلى حين وفاته واستقرار دين الله قراره: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا﴾[4].

---

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة: (يتزيَّن).

(٢) سُورة البقرة: الآية ١٩٧.

(٣) في النُّسخة الخطِّيَّة: (ومنشائه).

(٤) سُورة النَّصر: الآيتان ١ ـ ٢.

فإذا عرف القلب ذلك، عرف أُصول الإيمان، وعرف أسباب القضايا في الكتاب العزيز: طوراً بعد طورٍ، على مُقتضى الحوادث المُتجدِّدة في أيَّام النُّبوَّة.

فمن عرف السِّيرة، ثُمَّ قرأ القُرآن وتدبَّره، فهم عن الله مُراده في كُلِّ قصَّةٍ كانت في زمنه ﷺ، ثُمَّ يأخذ منها بحُكم حاله ما يخصُّه، فيُمكنه حينئذٍ أن يتأدَّب بآداب القُرآن؛ ويكتسي آدابه وأخلاقه وأعماله، وقد سُئلت عائشة رضي الله عنها عن خُلق رسول الله ﷺ؟ فقالت: **«كان خُلقه القُرآن»**[1].

الثَّالثة: أن يستعمل ما رزقه الله تعالى من ذوق الإيمان في تحصيله للعلم مُقارناً له؛ ويستعمله أيضاً في مصالح دُنياه:

ولا يَقُل: أَفْرُغُ من العلم؛ وأتفرَّغ للإيمان، بل يستعمله مُقارناً، فإنَّ العلم والإيمان مُتلازمان، متى انفكَّ أحدهما عن صاحبه؛ ضَعُف.

وكان الدِّين أوَّلاً في زمن الصَّحابة رضي الله تعالى عنهم مُجتمعاً، فلذلك كان قويًّا، فلمَّا تفرَّق في عصر المأمون؛ حيث انفرد

---

(١) أخرجه مُسلمٌ في «صحيحه» [كتاب صلاة المُسافرين وقصرها/ باب جامع صلاة اللَّيل ومن نام عنه أو مرض ـ الحديث رقم (٧٤٦) ـ ١/ ٥١٢ ـ ٥١٣] من حديث سعد بن هشام رحمه الله تعالى، ولفظه: **«قال: يا أُمَّ المُؤمنين؛ أنبئيني عن خُلُقِ رسول الله ﷺ. قالت: ألست تقرأ القُرآن؟ قُلتُ: بلى. قالت: فإنَّ خُلُق نبيِّ الله ﷺ كان القرآن»**.

الفُقهاء بالفقه؛ والصُّوفيَّة بالتَّصوُّف؛ ضَعُف الدِّين وتفرَّق، فلا ترى[1] فقيهاً من كُلِّ وجهٍ، ولا صُوفيًّا قويًّا من كُلِّ وجهٍ.

فإنَّ الفقيه قُوَّته في العلم والتَّصوُّر، وتراه في الأعمال ضعيفاً؛ أعني الأعمال البدنيَّة، مثل: الأمر بالمعروف والنَّهي عن المُنكر، وإقامة الحُدود والانتصار للحقِّ، وكذلك تراه ضعيفاً في أعمال القُلوب، فغالباً في زماننا، قلَّ أن ترى فقيهاً صادقاً مُخلصاً مُحبًّا عارفاً خاشعاً زاهداً، فإنَّ قُواه أجمعَها انصرفت في العلم؛ فضعفت في الأعمال البدنيَّة والقلبيَّة، حيث قام بالشَّطر؛ وأهمل الشَّطر.

وكذلك الصُّوفيُّ الصَّادق؛ قد استعمل قُواه جميعَها في الأعمال البدنيَّة والقلبيَّة؛ وقصَّر في التَّعلُّم وإصلاح العقل، فتراه قويًّا في الأعمال؛ ضعيفاً في الانتصار بالحُجَّة والدَّليل، عاجزاً عن استنباط أحكام دينه الخاصِّ؛ فضلاً عمَّا يعمُّ غيره، فلذلك الدِّين ضعيفٌ[2] في زماننا.

ومن وفَّقه الله تعالى لاستعمال الإيمان والعلم معاً؛ لم يتفرَّق دينه، ويتربَّى قلبه في الدِّين التَّامِّ الكامل، فيكون دينه قويًّا كاملاً بعون الله تعالى وتوفيقه.

فمن رزقه الله تعالى ذوقاً من الإيمان؛ ورُزق همَّة في تحصيل عُلوم الشَّريعة ـ فيكون في اشتغاله مُلازماً لما يُمكنه من الإيمان؛

---

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة: (يرى).

(٢) في النُّسخة الخطِّيَّة: (ضعيفاً).

مُتعلِّقاً بشُعبةٍ منه، وهُو دوام الالتجاء والتَّعلُّق بالله في حال تكراره وفكره ومُطالعته وفي كُلِّ لحظةٍ ـ: يكون لقلبه التفاتٌ إلى جناب الحقِّ بالاستعانة والعُبوديَّة، فتقوى بذلك همَّته في تحصيله، وينكشف لقلبه نُور الافتقار والعُبوديَّة؛ ما أظلم عليه من المسائل، ثُمَّ إذا قام إلى الفرائض الخمس، اجتهد فيها على تفريغ قلبه لله، فيكون في الصَّلاة يُحكِّم جميع إيمانه، حيث كان في الصَّلاة مُستعملاً لشُعبةٍ منه؛ مُلازماً لما يُمكنه منه.

ومن كان هذا شأنه، كان بعون الله تعالى إيمانه مزيداً لعلمه، وعمله مُكمِّلاً لإيمانه وتسبُّبه، إيمانه في الدُّنيا معونة له على إيمانه وعلمه، حيث يستعمل فيه الالتفات إلى ربِّه بالعُبوديَّة والافتقار، وهذا حال الكُمَّل من المُحمَّديِّين؛ أهل الأذواق الكاملة والمعارف التَّامَّة.

وكذلك أصحاب رسول الله ﷺ عارفين بالله، عالمين بأمر الله، مُجاهدين في سبيل الله، مُكتسبين ساعين على أنفسهم وعيالهم، ومن تشبَّه بقومٍ حُشر معهم، وبالله التَّوفيق.

الرَّابعة: إذا تعيَّن عليه حقُّ الله تعالى:

مثل: صلاةٍ أو زكاةٍ أو حجٍّ أو أمرٍ بمعروفٍ أو نهيٍ عن مُنكرٍ أو جهادٍ في سبيل الله أو برٍّ أو صلةِ رحمٍ أو نُصرةِ مظلومٍ أو غير ذلك ـ من الواجبات؛ أو ما تأكَّد من السُّنن؛ **قام في ذلك العمل بكُلِّيَّته، فيبذل فيه عقله وقلبه ورُوحه، ويعمله كما يعمل المُحبُّ لحبيبه بالنُّصح التَّامِّ والتَّوفية الكاملة.**

* ومثال ذلك: لو فُرِضَ مُحبٌّ خاط لمحبوبه ثوباً أو نسجه له؛ أو سعى له في مُهِمٍّ من مُهمَّاته التي يعلم حُصول رضاه بتحصيلها؛ كيف كانت المحبَّة تقتضي[1] منه الاعتناء بذلك الأمر وإتقانه؟ وكيف كان لمُحبٍّ أن يُوقعه على أكمل الصِّفات وأتمِّها تقرُّباً إلى حبيبه؟ عسى أن يُلحظ بعين وَصْلِه ووِدَادِه؛ أو يحنَّ عليه تعطُّفاً.

والمحبَّة تقتضي الْتِذَاذَهُ في التَّعنِّي بالأعمال الشَّاقَّة من أجل حبيبه، محبَّة له ولحوائجه ومهامِّه[2] وأوامره، فهكذا أهل الله وخاصَّته إذا وجب عليهم لله حقٌّ أقاموا فيه قيام المُحبِّ بحبيبه؛ وبذلك تُنال محبَّة الله لعبده.

ومحبَّة الله للعبد: هي الغاية القُصوى، فإنَّ السَّالك والعابد والمُحبَّ في عناءٍ وجَهْدٍ؛ ما لم يُلحظ بمحبَّةٍ من ذلك الطَّرْف، ومتى لُحِظَ العبد بمحبَّةٍ ووُدٍّ من ذلك الطَّرْف؛ سهلت الأُمور وارتفعت المُؤَن[3]، وحصل التَّولي للعبد في أُموره؛ ،حُرس وحُفظ ورُوعي، وصار العبد حينئذٍ مُراداً؛ بعد أن كان مُريداً.

وأقرب الأسباب إلى ذلك: الاعتناء بحُقوق الرَّبِّ تعالى؛ وتعظيمها وإيقاعها على أكمل الوُجوه، فإنَّ ذلك يُوجب محبَّة الله تعالى لا محالة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي

---

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة: (يقتضي).
(٢) في النُّسخة الخطِّيَّة: (ومهمامه).
(٣) أي: التَّعب والشِّدَّة.

سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾[1]. ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[2]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[3].

وفَرْقٌ بين تائبٍ وتائبٍ، ومُقاتلٍ ومُقاتلٍ، وصابرٍ وصابرٍ، فمن وَفَّى؛ وُفِّيَ له نصيبه من تلك المحبَّة الموعود بها، ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا﴾[4].

ومن قصَّر؛ وُفِّي له أجر عمله غير منقوصٍ، وفاته الكمال، ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾[5].

فتائبٌ يتوب توبةً نصوحاً ـ يتوب بجميعه ـ؛ فيُثاب في أوَّل تلبُّسه بها الثَّناء الجميل، كما جاء: «**لقد تاب توبة؛ لو قُسمت بين أهل الأرض لوسعتهم**»[6].

---

(١) سُورة الصَّفّ: الآية ٤.

(٢) سُورة آل عمران: الآية ١٤٦. في النُّسخة الخطِّيَّة: (إنَّ الله يُحبُّ الصَّابرين).

(٣) سُورة التَّوبة: الآيتان ٤؛ ٧.

(٤) سُورة الفُرقان: الآية ١٦. في النُّسخة الخطِّيَّة: (كان على ربِّك عهداً مسؤولاً).

(٥) سُورة النَّجم: الآية ٣٩.

(٦) أخرجه مُسلمٌ في «صحيحه» [كتاب الحُدود/ باب من اعترف على نفسه بالزِّنا ـ الحديث رقم (١٦٩٥) ـ ٣/ ١٣٢١ ـ ١٣٢٢] من حديث بُريدة بن الحُصيْب الأسلميِّ رضي الله عنه، ولفظه: «**فقال: استغفروا لماعز بن مالكٍ. قال: فقالوا: غفر الله لماعز بن مالكٍ. قال: فقال رسول الله ﷺ: لقد تاب توبة؛ لو قُسمت بين أُمَّةٍ: لوسعتهم**».

ومُقاتلٌ يخرج بنفسه وماله لتكون كلمة الله هي العُليا، وصابرٌ يحتسب رضا الله ومحبَّته في صبره، ومُتَّقي يُوفِّي حقَّ تقواه، فيُجازى كُلٌّ منهم ويُوفَّى له أجره؛ كما وفَّى مقام عُبوديَّته.

وتائبٌ يتوب من شيءٍ دُون شيءٍ، ومُقاتلٌ يطلب الجهاد مع الغنيمة، وصابرٌ يَظْهَر عليه آثار الجزع، وكُلٌّ يُوفَّى له قسطه على حسب عمله وتكملته؛ وليسوا سواء.

وهذه كُلُّها أعمالٌ أُمر العبد بها؛ ووُعد عليها بالمحبَّة بشرط التَّوفية، فمن وفَّاها؛ استحقَّ ما وُعد عليها.

وصِفَة توفيتها ما تقدَّم؛ مِنْ بذل النَّفس والعقل والرُّوح فيها رضى لله[1] ومحبَّته له؛ وإيثاراً له ولأمره على نفسه وهواه وحُظوظه؛ وما يجب من أجل حبيبه، يُجازى بأفضل الجزاء وهي المحبَّة.

هذا أصلٌ غفل عنه أكثر النَّاس؛ وغالب السَّالكين، فإنَّهم اشتغلوا بطلب نصيبهم منه، فغفلوا، فعكفوا على ذلك، وقصَّروا في حُقوقه، ولم يعتنوا بها حقَّ الاعتناء والنَّصيحة له فيها، ولو عقلوا؛ لعلموا أنَّ ذلك حظُّهم منه، وهذا حقُّه عليهم.

والمُحبُّ البارُّ النَّاصح، يُؤثر حُقوق محبوبه على حظِّه منه، فإن فعل؛ صار هُو بعينه طريقه إلى نيل حظِّه، فيجتمع له الأمران: قيامه بحقِّ مولاه، ونيْل النَّصيب منه.

---

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة: (الله).

الخامسة: أن يعتني بالاقتداء برسول الله ﷺ في أمره كُلِّه ـ مِمَّا تمكَّن منه ـ:

في أكله وشُربه، ونومه وتهجُّده، وسواكه وطهوره[1]؛ وإيثاره ولباسه؛ ومُعاشرته للأصحاب والأزواج؛ ولُطف طبعه في موضعه؛ وشدَّته وقُوَّته وغلظته في موضعه، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾[2]. وقال: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[3].

فأهل الحديث ونقلته رضي الله عنهم، قد ضبطوا في كُتب الحديث جميع ما نُقل إليهم من ذلك.

ويتحرَّى العبد نوادبه؛ مثل: غُسل الجُمعة، والصَّفِّ الأوَّل، وميامنه، والقُرْب من الإمام، والأذكار المشروعة عقيب الصَّلوات، وعند الحوادث، فقد يقوم العبد بالأوامر ويجتنب النَّواهي، وتهون عليه هذه الأشياء، ويقول: إنَّ الأصل ذاك، وهذه جُزئيَّات لا يأثم تاركها؛ ويفوت بتركها كُنوزٌ عظيمةٌ من كُنوز البِرِّ؛ ويتخلَّف عن المُتابعة.

ومن كمَّل اتِّباعه في الدُّنيا، كان في الآخرة قريباً منه، تحت منجفه[4] ولوائه، ؛أنَّه كان مع سُنَّته واتِّباعه في الدُّنيا؛ فيُجازى بأن

---

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة: (وظهوره).

(٢) سُورة التَّوبة: الآية ٧٣، سُورة التَّحريم: الآية ٩.

(٣) سُورة الحجر: الآية ٨٨.

(٤) في النُّسخة الخطِّيَّة: (صنجفه)، والنَّجيف: السَّهم العريض النَّصل.

يكون رفيقه حقيقة في الآخرة، ومن قام ببعضٍ وتخلَّف عن بعضٍ؛ نقص من كمال مُتابعته بقدر ما تخلَّف عنه.

وأيضاً؛ فإنَّ للشَّريعة أسراراً لا يقف[1] عليها إلَّا المُكاشفون، هي أدويةٌ لأسقام القُلوب.

والأذكار المشروعة لها خواصٌّ كخواصِّ التَّراييق[2] للسُّموم؛ من سُرعة النُّفوذ والإجابة في جلب المنافع ودفع المضارِّ والمفاسد، وقد ورد: «**إنَّ الدُّعاء والقضاء يعتلجان بين السَّماء والأرض**»[3].

---

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة: (أسرار لا يقفون).

(٢) التِّرْيَاق: هُو ما يُستعمل لدفع السُّم من الأدوية، ويُقال بالدَّال (الدِّرْيَاق) أيضاً.

(٣) من حديث عائشة رضي الله عنها، ولفظه: «**لا يُغني حذرٌ من قدر، والدُّعاء ينفع ممَّا نزل؛ وممَّا لم ينزل، وإنَّ الدُّعاء والبلاء ليعتلجان إلى يوم القيامة**» أخرجه الطَّبرانيُّ في «الدُّعاء» [باب ما جاء في فضل لُزوم الدُّعاء والإلحاح فيه ـ الحديث رقم (٣٣) ـ ٢/ ٨٠٠]، و«المُعجم الأوسط» [الحديث رقم (٢٥١٩) ـ ٣/ ٢٤٢]، وقال: (لم يرو هذا الحديث عن هشام إلَّا عطَّافٌ، ولا عن عطَّافٍ إلَّا زكريا، تفرَّد به الحَجَبيُّ)، والحاكم في «مُستدركه» [كتاب الدُّعاء والتَّكبير والتَّهليل والتَّسبيح والذِّكر/ الحديث رقم (١٨١٣) ـ ١/ ٦٦٩]، وقال: (هذا حديثٌ صحيح الإسناد ولم يُخرجاه). وتعقَّبه الذَّهبي بقوله: (زكريا مُجمعٌ على ضعفه).

السَّادسة: أن يكون له نصيبٌ من الدُّعاء والتَّضرُّع:

ـ خُصوصاً في الأسحار ـ في جميع نوائبه وشُؤونه ومطالبه، من أمر دينه ودُنياه وآخرته، فمن فُتح عليه باب الدُّعاء؛ لم يُحرم الإجابة.

وبالدُّعاء تتَّسع[1] له الطَّاقة[2] التي بينه وبين الله، وينكشف له في الإجابة صريح التَّوحيد، ويرى تجرُّد فعل الله تعالى في النَّوائب والعوارض، فيقوى بذلك إيمانه، ويتمُّ يقينه، وتكمل عبادته، فإنَّ العبد خُلق مُحتاجاً، صفته: الحاجة والفاقة والعجز والضَّعف والنَّقص، كما أنَّ وصف خالقه: الغنى والقُدرة والقُوَّة والكمال.

فمن لازَمَ صفاته؛ وأدام إظهار الحوائج والاحتياج إلى مالكه؛ عرف المراد منه بهذه الصِّفات، وعبد ربَّه بما تقتضيه صفاته المُقدَّسة.

فإنَّ كُلَّ صفةٍ له سُبحانه تقتضي منَّا له بها عُبوديَّة خاصَّة، عرف ذلك من عرفه؛ وجهله من جهله، وبالله المُستعان، ولا حول ولا قُوَّة إلَّا بالله.

السَّابعة: أن لا يُهمل حال الورع:

وهُو أقسامٌ:

*** وَرَعٌ في المأكل:**

وهُو أن لا يتناول الحرام؛ ولا ما ظهرت فيه الشُّبهة لغير فاقةٍ.

---

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة: (يتَّسع).

(٢) الطَّاقة: هي أقصى غاية، وهو اسمٌ لمقدار ما يمكن أن يُفعل بمشقَّةٍ.

*** ووَرَعٌ في الكلام:**

وهُو قسمان: حرامٌ، وفُضولٌ.

*** ووَرَعٌ في النَّظر:**

فليكن مقصوراً على ما يُثاب عليه؛ وعلى مصلحةٍ دُنيويَّةٍ لا بُدَّ منها، وهُو ـ أيضاً ـ قسمان: حرامٌ، وفُضولٌ. فالحرام: النَّظر إلى الصُّور والمُحرَّمات، والفُضول: معلومٌ.

*** ووَرَعٌ في الاستماع:**

وهُو ـ أيضاً ـ حرامٌ، وفُضولٌ؛ فليقتصر فيه على قدر الحاجة.

*** ووَرَعٌ في المساعي:**

فلتكن في عبادةٍ أو معيشةٍ؛ وتَطْرَح الثَّالث[1].

هذا في الظَّاهر.

وكذلك الوَرَع في الباطن:

فإنَّه أيضاً قسمان: حرامٌ، وفُضولٌ.

*** فالحرام**: العقائد الفاسدة؛ وعزائم المعصية؛ والهمم الرَّديَّة، مثل: البُغض لغير الله، والحقد والحسد والغلِّ والكبر واحتقار المُسلم، ورُؤية النَّفس وعزَّتها، والرِّياء والعُجب، وذلك لا ينكشف غالباً إلَّا لأهل البصائر والنُّور، وأمَّا العامَّة: فقد يُحجب عنهم خَطَر

(١) أي: كُلَّ سعيٍ في غير عبادةٍ أو معيشةٍ، كما قال عبد الله بن مسعودٍ رضي الله عنه: (إنِّي أكره أن أرى الرَّجل فارغاً؛ لا في عمل دُنيا ولا آخرةٍ) أخرجه الطَّبرانيُّ في «مُعجمه الكبير» [الحديث رقم (٨٤٦٠) ـ ٧/ ٥٠٠].

ذلك، ورُبَّما ساعدوا نُفوسهم على نيل هذه المعاصي، وكانوا أجمع نهارهم في تنفيذها.

فليعلم المُؤمن أنَّ الله تعالى قال: ﴿وَذَرُوا۟ ظَـٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ﴾(١).

والعبد لا يتمُّ صفاؤه؛ ولا يكمل نُوره حتَّى يتطَّهر ظاهراً عن المآثم الظَّاهرة، ويتعلَّق بالله عند وُرود الخطرات الباطنة.

ومن فُتح له باب التَّعلُّق بالله؛ صار لقلبه معلقاً يتعلَّق به عند النَّوائب، وذلك هُو حقيقة التَّوكُّل، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ﴾(٢)؛ أي: كافيه.

والقلب بيت الرَّبِّ، فينبغي أن يُطهَّر عن المآثم الباطنة والهمم الدَّنيَّة؛ ليحلَّ بساحته الأنوار الإلهيَّة، وتُحيط به الأملاك.

ومن وُفِّق لذلك: رُزق صحَّة الخاطر؛ وصدق الفراسة، وتَنَزُّل الإلهام عند الحوادث والنَّوائب؛ إذا افتقر إلى الله تعالى، وجد في قلبه إلهاماً يُشير إلى أمرٍ يفعله، وقد يلتبس الإلهام بالوسوسة؛ ولا يُفرِّق بينهما إلَّا الصِّدِّيقون.

ومتى وجد من خواطر السُّوء شيئاً؛ فَلْيَفِرَّ منها إلى ربِّه تعالى، قال الله تعالى: ﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ﴾(٣).

---

(١) سُورة الأنعام: الآية ١٢٠.
(٢) سُورة الطَّلاق: الآيتان ٢ ـ ٣.
(٣) سُورة الذَّاريات: الآية ٥٠.

وبذلك الفرار استقامة ظاهر العبد وخواطره وأخلاقه النَّاشئة عنه، فإنَّ من فرَّ إلى الله تعالى: آواه الله تعالى، والله يتولَّى الصَّالحين.

والحمد لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله على سيِّدنا مُحمَّدٍ وآله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً إلى يوم الدِّين[1].

❑❑❑

(١) كان الفراغ من تقييد التَّعليق؛ وتمام الختام من هذا التَّحقيق: في مكة مهوى أفئدة المُؤمنين؛ وبيت الله الحرام وبلده الأمين، في يوم السَّبت ٢٠ صفر ١٤٣٣هـ؛ الموافق ١٤ يناير (كانون الثَّاني) ٢٠١٢م.

لقاء العشر الأواخر
بالمسجد الحرام
(٢٢٥)

حياة القلوب وعمارة الأنفاس في سلوك الأذكياء الأكياس

تأليف
الإمام الزاهد الناسك، والعالم العابد السالك
عماد الدين أبي العباس أحمد بن إبراهيم الواسطي
المعروف بابن شيخ الحزاميين
(٦٥٧ - ٧١١ هـ)

تحقيق وتعليق
الدكتور وليد بن محمد بن عبد الله العلي

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه الإعانة

﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾[1].

الحمد لله كما يستحقُّه حمده.

وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له شهادة عبده وابن عبده.

وأشهد أنَّ مُحمَّداً عبده ورسوله ﷺ الذي ذبَّ عن دين الله بجِدِّه وحَدِّه؛ صلَّى الله عليه وعلى آله والتَّابعين لهم من بعده.

طريقٌ مُختصرٌ إلى الله تعالى لمن كَاسَ[2] وعَقَلَ وفَهِمَ المُراد وعمل؛ إذا أعان الله وخلق في العبد استعداداً؛ اختصر له الطَّريق، وقرَّب له ما بَعُد بأسباب التَّوفيق.

---

(١) سُورة إبراهيم: الآية ٢٧.

(٢) أي: فَطِنَ.

وعلامة هذا العبد المُوفَّق: أن يحكم على نفسه؛ ويقودها بعِنَانِها، وما ذاك إلَّا لما خُلق فيها من اللَّطافة ولين العريكة، فلا يستعصي عليه أمرٌ فيه صلاحها؛ خُصوصاً إذا استبان لها رُشدها، وهذا أيضاً من أدلِّ الدَّلالات على فضلها وكمال استعدادها، وهُو قُوَّة البصر بلا كُلفة.

متى أُشير إليها بنهج سبيل الصَّواب؛ رأته بلا تقليدٍ؛ فانطوت في مطاويه، ولانت راغبة فيه، بخلاف النُّفوس الأمَّارة والمُستعصية الباردة اليابسة.

ولا ترى الأشياء على حقائقها إلَّا بجُهدٍ جهيدٍ؛ في عُمر طويلٍ مديدٍ، ورُبَّما رأته وبحقيقته؛ وتوارى عنها؛ وثُمَّ يُحدق فيه بصرها ولا يثبت على رُؤيته، ثُمَّ يعود فيتعامى عنه لغلبة الطَّبع اليابس والنَّفس الأمَّارة.

وإذا تهيَّأ لها رُؤية الحقِّ مثلاً؛ واستقرَّت على رُؤيته؛ لا ينجذب الطَّبع إلى الإذعان لسياسته؛ بل تتلكَّأ[1] وتستعصي وتجمح إلى التَّسويف وشُبَه التَّأويل.

والنُّفوس الفاضلة المُستعدِّة إذا رأت الحقائق رأتها على حقائقها في أسرع زمانٍ، وانقادت لذلك طباعها في أقرب حينٍ وأوانٍ، وأنَّ ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾[2].

---

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة: (تتلكَّى).

(٢) سُورة الحديد: الآية ٢١، سُورة الجُمعة: الآية ٤.

وهذا طريقٌ قريبٌ لمن استعدَّ وزكى إلى الوُصول إلى الله تعالى بلا كُلفةٍ ولا عناءٍ إن شاء الله تعالى، يعلم الذَّكيُّ الفاضل أنَّ الله تعالى بعث الرُّسل ﴿مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾(١).

دلَّ على ذلك شريعتنا؛ وكتابنا؛ والأثارة من العلم التي هي بأيدي أهل الكتاب ـ وإن كانوا قد بدَّلوا بعض أحكامها ـ ؛ والعقل الصَّحيح، يشهد أنَّ دين الأنبياء هُو الحقُّ؛ لا حقَّ غيره، وإلى ذلك تطمئنُّ قُلوب النُّبلاء؛ وتنشرح(٢) له لا إلى غيره، فإنَّ القُلوب تعلم بأنَّه حقٌّ مُتَّصلٌ بالله.

وغَيْرُ دين الأنبياء: هُو نتائج عُقولٍ ناقصةٍ وأفكارٍ متعوبةٍ؛ في أُمورٍ وهميَّةٍ غير مُلائمةٍ، تُصيب في شيءٍ واحدٍ؛ وتُخطئ أشياء كثيرة.

فمنهم من عبد الأصنام واتَّخذها آلهة من دُون الله، وفيهم من عبد النَّار ـ وُهم المجوس ـ لِمَا رَأَوْا من تأثيرها في الأجسام وإشراقها وقُوَّة نُورها، وفيهم من عبد الشَّمس لما رأى فيها من صلاح العالم من الحيوانات والنَّبات والنُّور الفائض في الكون، ومنهم من عبد الكواكب، يعبد أحدهم الكوكب حتَّى يغيب، فإذا غاب اتَّخذ صنماً على شكله، وقد توهَّم أنَّ له شكلاً؛ فنحت الصَّنم على شكله، فلا يزال يعبده حتَّى يطلع الإله الذي كان الصَّنم خليفة وعوضاً عنه.

---

(١) سُورة النِّساء: الآية ١٦٥.

(٢) في النُّسخة الخطِّيَّة: (وينشرح).

ثُمَّ هؤلاء يدَّعون العُقول الكاملة؛ وقد تفنَّنوا في فُنون العلم من الفلسفة والعُلوم الرِّياضيَّة العقليَّة؛ وهذا غاية ما أنتجته عُقولهم في تألُّههم المخلوقات!

فقد علمت أنَّ التَّألُّه والشَّرائع أمرٌ لا يُوجد إلَّا بالسَّمع من الأنبياء؛ إذ ليس في قُوَّة العُقول الاهتداء إلى الله، وإلى شرائع الله، وإنَّما يُعبد الله ويُدان بما أنزل الله؛ وبما عرَّف عباده أن يعبدوه به، ثُمَّ أيَّد السُّفراء ـ وهُم الوسائط ـ بالمُعجزات الباهرة.

فالقُلوب الصَّحيحة تشهد أنَّ ما جاءت به الأنبياء ليس من نتائج العُقول الفكريَّة التي سبق ذكرها؛ لأنَّ[(١)] العجز والقُصور ظاهرٌ فيها، والأنبياء عن محض الحقِّ بيِّنٌ فيها، ولأجل ذلك تراهم مُختلفين، كُلُّ صاحب عقلٍ منهم قد حسَّن له عقله وجهة يعبدها.

والأنبياء مُتَّفقون على أُصولهم التي جاءت من عند الله؛ وإن اختلفت شرائعهم وتفاصيلهم، وكُلٌّ منهم يُصدِّق صاحبه ممَّن كان قبله، ويُبشِّر[(٢)] به إن كان بعده.

فالعُقول تشهد بأنَّ ذلك من عند الله تعالى، لا من نتائج العُقول، ولا يظهر للأنبياء في ذلك اختيارٌ وتدبيرٌ أصلاً، بل يراهم العاقل مُكلَّفين غير مُختارين ولا مُتأمِّلين لما تُنتجه أفكارهم في شرائعهم وأديانهم، يقولون الحقَّ على أنفسهم ولهم، وكفى بذلك بُرهاناً

---

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة: (لئن).

(٢) في النُّسخة الخطِّيَّة: (وينشر).

واضحاً على صدقهم؛ ولو لم يظهر لهم مع ذلك مُعجزة؛ فإنَّ الحقَّ إذا تبرهن للعُقول الفاضلة خرَّت مُنقادة له، ولو لم يظهر لها في المحسوس من خوارق العادات ما يُصدِّق شاهد هؤلاء، يرى ـ ما ذُكِرَ بهذه[1] القاعدة ـ الأَنْفُس فاضلة مُستعدَّة، ترى ذلك حقيقة ولا يُرى، يتوارى عنها حُكمه في حينٍ من الأحيان.

فصلٌ

إذا عُلم ذلك؛ فليُعلم أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً ﷺ بعثه الله تعالى على فترةٍ من الرُّسل، شهدت الفطرة الصَّحيحة بصدق نُبوَّته، وذلك لأُمورٍ غير المُعجزات الخارقة للعوائد؛ التي تواتر النَّقل بها عن غير واحدٍ[2]:

الأوَّل: أنَّ رسالته ﷺ جاءت مُصلحة لما أفسد أهل الحجاز من دين إبراهيم.

وكانوا يستعملون أشياء منها، مثل الحجِّ والطَّواف، وتحريم الشَّهر الحرام، والهَدْي، والقلائد، وبدَّلوا منها أكثرها، اتَّخذوا مع الله أنداداً مثل: هُبل، وأَسَاف، ونَائِلَة[3].

---

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة: (هذه).

(٢) نصَّ المُؤلِّف رحمه الله تعالى على الأمر الأوَّل فقط من الأُمور التي شهدت بصدق نُبوَّة نبيِّنا مُحمَّدٍ ﷺ؛ وأغفل ذكر بقيَّة الأُمور.

(٣) قال ابن حجرٍ العسقلانيُّ في «فتح الباري بشرح صحيح البُخاريِّ» (٦/ ٥٤٩): (وذكر ابن إسحاق: أنَّ سبب عبادة عمرو بن لُحَيٍّ الأصنام: أنَّه خرج إلى الشَّام ـ وبها يومئذٍ العماليق ـ ؛ وهُم يعبدون الأصنام، =

واتَّخذوا مع الكعبة طواغيت، مثل: الّلات، والعُزَّى، ومناة الثَّالثة الأُخرى؛ والكعبة اليمانيَّة وهُو البيت الذي كان لخَثْعَم؛ الذي بعث رسول الله ﷺ جرير بن عبد الله البجليَّ فهدمه مع خَيْلِ[1] أَحْمَس[2].

وكان أهل الحجاز من المُشركين لا يعتقدون بعثاً ولا نُشوراً،

= فاستوهبهم واحداً منها، وجاء به إلى مكَّة، فنصبه إلى الكعبة، وهُو هُبَل، وكان قبل ذلك في زمن جُرْهُم قد فَجَر رجلٌ يُقال له أَسَافٌ بامرأةٍ يُقال لها نائلةٌ في الكعبة، فمسخهما الله جلَّ وعلا حجريْن، فأخذهما عمرو بن لُحَيٍّ فنصبهما حول الكعبة، فصار من يطوف يتمسَّح بهما، يبدأ بأَسَافٍ، ويختم بنائلةٍ).

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة: (جبل).

(٢) أخرجه البُخاريُّ في «صحيحه» [كتاب الجهاد والسِّيَر/ باب حَرْقِ الدُّور والنَّخيل ـ الحديث رقم (٣٠٢٠) ـ ٢/٩٢٨]، ومُسلمٌ في «صحيحه» [كتاب فضائل الصَّحابة/ باب من فضائل جرير بن عبد الله رضي الله تعالى عنه ـ الحديث رقم (٢٤٧٦) ـ ٤/١٩٢٦] من حديث جرير بن عبد الله البجليِّ رضي الله عنه، ولفظ مُسلم: «**قال لي رسول الله ﷺ: يا جرير؛ ألا تُريحني من ذي الخَلَصَة ـ بيتٍ لخَثْعَم كان يُدعى كعبة اليمانيَّة ـ؟ قال: فنفرت في خمسين ومائة فارسٍ، وكُنت لا أثبت على الخيل، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ، فضرب يده في صدري فقال: اللَّهُمَّ ثبِّته، واجعله هادياً مهديًّا. قال: فانطلق فحرَّقها بالنَّار، ثُمَّ بعث جريرٌ إلى رسول الله ﷺ رجلاً يُبشِّره ـ يُكنى أبا أَرْطَاة ـ منَّا، فأتى رسولَ الله ﷺ فقال له: ما جئتك حتَّى تركناها كأنَّها جملٌ أجرب. فبرَّك رسول الله ﷺ على خيلِ أَحْمَس ورجالها: خمس مرَّات**».

يُهلُّون لمَنَاة الطَّاغية، ويُقرِّبون القرابين للأصنام، ويُسيِّبون السَّائبة، ويُحرِّمون الوصيلة والحام، ويقولون: الملائكة بنات الله؛ ويتأذَّون هُم من البنات ويقتلونهم، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾[1].

وغير ذلك من العقائد والأعمال النَّاقصة، ويظلمون في الثَّأر، يقتلون واحداً من القبيلة التي كان القاتل منها، هذا كان شأنهم.

وأمَّا اليهود: فبدَّلوا دين مُوسى ﷺ، وقالوا: ﴿عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾[2]. وقالوا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾[3]. وقالوا: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾[4]. وتركوا حُكم التَّوراة[5] من الرَّجم، وعدلوا عنه إلى التَّجبية[6] والتَّحميم[7]، وجعلوا الدِّية لأشرافهم دية مُغلَّظة؛ وت،اونوا بضُعفائهم، وكذَّبوا عيسى، ورموا أُمَّه بالقذف، وكفروا بالإنجيل، وأنكروا النَّسخ وغير ذلك من التَّغيير والتَّبديل.

---

(١) سُورة التَّكوير: الآيتان ٨ ـ ٩.

(٢) سُورة التَّوبة: الآية ٣٠.

(٣) سُورة آل عمران: الآية ١٨١.

(٤) سُورة المائدة: الآية ٦٤.

(٥) في النُّسخة الخطِّيَّة: (التَّورية).

(٦) في النُّسخة الخطِّيَّة: (التَّحنية).

(٧) التَّجبية: أن يُحمل الزَّانيان على حمارٍ وتُقابل أقفيتهما ويُطاف بهما، والتَّحميم: أن تُسوَّد وجوههما.

وأمَّا النَّصارى: فغيَّروا دين عيسى، وأحلُّوا ما حرَّمت التَّوراة[1] من الخمر[2]، وصلُّوا إلى الشَّرق بعد بيت المقدس، ورموا الزَّبائل على الصَّخرة بُغضاً لليهود، ومُخالفة لهم في جميع أُمورهم، وقالوا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾[3]. وقالوا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾[4]. وعطَّلوا بيت المقدس، وزادوا فيما فُرض عليهم من الصِّيام، ونقلوه عن وقته المشروع، وجعلوه في أيَّام الرَّبيع، وأحلُّوا أشياء حُرِّمت عليهم فضلُّوا.

وكان النَّاس قبل مبعثه ﷺ: إمَّا يهودٌ مغضوبٌ عليهم لِمَا بدَّلوا من دين الله، وإمَّا نصارى ضالِّين عن نهج الصَّواب ـ وهُم أهل الشَّام والرُّوم والحبشة ومصر ـ، وإمَّا مجوسٌ عُبَّاد الأصنام والأوثان ـ وهُم أهل الحجاز والتُّرك وأهل الهند من الشَّمسيَّة ـ، وإمَّا فلاسفةٌ صابئون ـ وهُم أهل النُّجوم وعِلْم ما بعد الطَّبيعة؛ أهل العُلوم الرِّياضيَّة ـ.

وكان أهل الأرض ضُلَّالاً[5] جميعهم؛ وكان طُلاب الهُدى حائرين[6]، يطوفون الآفاق على الهُدى فلا يجدونه[7]، مثل: زيد بن

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة: (التَّورية).
(٢) في النُّسخة الخطِّيَّة: (الحير).
(٣) سُورة المائدة: الآية ٧٣.
(٤) سُورة المائدة: الآيتان ١٧؛ ٧٢.
(٥) في النُّسخة الخطِّيَّة: (ضُلال).
(٦) في النُّسخة الخطِّيَّة: (حائرون).
(٧) في حاشية النُّسخة الخطِّيَّة: (مطلبٌ: في بعض من كان مُوحِّداً في الجاهليَّة).

عمرو بن نُفيلٍ؛ وورقة بن نوفلٍ؛ وسلمان الفارسيِّ.

أمَّا ورقة: فتنصَّر واتَّبع الكُتب؛ غير أنَّه كان مُوحِّداً، وآمن برسول الله ﷺ، وصدَّق به.

وأمَّا زيدٌ: فوقف؛ فلم يدخل في يهوديَّةٍ ولا نصرانيَّةٍ؛ بل كان يُوحِّد الله ويعبد الله على دين إبراهيم، لا يأكل ما ذُبح على الصَّنم، وكان يسجد على راحته يعبد الله بذلك، وقال ﷺ: «**إنَّه يُبعث أُمَّة وحده**»(١).

وكان يقول: (الشَّاة يخلقها الله؛ ويُنبت لها الكلأ: فتُذبح لغيره!

---

(١) أخرجه أحمد في «مُسنده» [الحديث رقم (١٦٤٨) ـ ٣/ ١٨٧] من حديث سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل رضي الله عنه، ولفظه: «**كان رسول الله ﷺ بمكَّة هُو وزيد بن حارثة؛ فمرَّ بهما زيد بن عمرو بن نُفيلٍ، فدعواه إلى سُفرة لهما، فقال: يا ابن أخي؛ إنِّي لا آكل ممَّا ذُبح على النُّصب. قال: فما رُؤي النَّبيُّ ﷺ بعد ذلك أكل شيئاً ممَّا ذُبح على النُّصب. قال: قُلت: يا رسول الله؛ إنَّ أبي كان كما قد رأيت وبلغك، ولو أدركك لآمن بك واتَّبعك، فاسْتَغْفِرْ له. قال: نعم، فأَسْتَغْفِرُ له، فإنَّه يُبعث يوم القيامة أُمَّة وحده**».

وأخرجه البُخاريُّ في «صحيحه» [كتاب الذَّبائح والصَّيد/ باب ما ذُبح على النُّصب والأصنام ـ الحديث رقم (٥٤٩٩) ـ ٤/ ١٧٧٠] من حديث عبد الله بن عُمر بن الخطَّاب رضي الله عنهما، ولفظه: (**عن رسول الله ﷺ أنَّه لقي زيد بن عمر بن نُفيل بأسفل بَلْدَح ـ أي: وادٍ بأسفل مكَّة في طريق التَّنعيم ـ، وذاك قبل أن ينزل على رسول الله ﷺ الوحي، فقُدِّم إلى رسول الله ﷺ سُفرة لحم، فأبى أن يأكل منها، ثُمَّ قال: إنِّي لا آكل ممَّا تذبحون على أنصابكم، ولا آكل إلَّا ممَّا ذُكر اسم الله عليه**).

أو على غير اسمه!). أو نحواً ممَّا قال[1].

كان يُنكر ذلك بفطرته السَّليمة التي فطر الله الخلق عليها من توحيد الله تعالى.

وأمَّا سلمان الفارسيُّ: فوجد قوماً من الرَّهَّابين الذين كانوا على دين عيسى ولم يُغيِّروا، حتَّى كان عند آخرهم، فقال لهم: إنَّه قد آن أوان نبيٍّ يُبعث بالحجاز. فقصد سلمان الحجاز، حتَّى اجتمع برسول الله ﷺ[2].

فانظر أيُّها العاقل: كيف بَعَث مُحمَّداً ﷺ رحمة لأهل الأرض قاطبة؟ فبيَّن لأهل الحجاز ما أخطؤوا فيه من اتِّخاذ الأصنام والأوثان آلهة من دُون الله، وأقرَّهم على ما كانوا عليه من الحقِّ، مثل: مكارم الأخلاق، وتعظيم المشاعر والهَدْي والقلائد وغيرها، ليقوم أمرهم على الحُجَّة الصَّحيحة؛ من الزَّيغ والانحراف الذي كانوا فيه.

فانظر كيف بيَّن لليهود ضلالتهم، وعرَّفهم ما انحرفوا فيه، وردَّ عليهم اتِّخاذ العُزَيْر ولد الله؛ وكيف هداهم[3] إلى تقويم الاعوجاج الذي انحرفوا فيه.

---

(١) انظر: «الرَّوض الأُنُف في شرح غريب السِّيَر» للسُّهيليِّ (١/ ٣٨٢).

(٢) قصَّة سلمان الفارسيِّ رضي الله عنه الطَّويلة: أخرجها أحمد في «مُسنده» [الحديث رقم (٢٣٧٣٧)، ٣٩/ ١٤٠ ـ ١٤٧] من حديث عبد الله بن عبَّاس رضي الله عنهما قال: **(حدَّثني سلمان الفارسيُّ حديثه من فِيهِ)**، وفيها: **(فقصصت عليه حديثي كما حدَّثتك يا ابن عبَّاسٍ، قال: فأعجب رسول الله ﷺ أن يسمع ذلك أصحابُه)**.

(٣) في النُّسخة الخطِّيَّة: (هديهم).

وانظر كيف بيَّن للنَّصارى ما انحرفوا فيه من اتِّخاذ المسيح ابن[1] الله؛ وإبطال أحكام التَّوراة[2]، وبيَّن لهم ما انحرفوا فيه وهداهم إلى الاستقامة.

ثُمَّ انظر كيف صدع هؤلاء بالحقِّ الذي لم يَشُبْه[3] باطلٌ؛ بحيث يشهد الفَطِن العاقل أنَّ الذي جاء به مُحمَّدٌ ﷺ حقٌّ من عند الله؛ ليس في قُوَّة العُقول البشريَّة أن يُختلق مثله.

وانظر كيف علَّمه الله قصص مُوسى وبني إسرائيل؛ كأنَّها نقل المِسْطَرَة من دينهم على اصطلاحهم الذي كانوا عليه؛ يقصُّ عليهم نبأهم الأوَّل كما كان.

وكذلك النَّصارى؛ من خبر المسيح عيسى بن مريم[4] وولادته، وخبر زكريَّا ويحيى، وغيرهم من الأنبياء، كأنَّه خرج من بينهم، يُحدِّث عنهم بما كان من أمرهم.

ثُمَّ قصَّة ذي القرنيْن؛ وأهل الكهف؛ وقصَّة يُونس، ويُوسف، وإبراهيم في وُرود الملائكة عليه حين ضيَّفهم، وقصَّة أيُّوب، وغيرهم من أنبياء بني إسرائيل، كأنَّه رآهم؛ فهُو يُخبر بما رآه منهم.

أيُّها الأخ العاقل الذَّكيُّ: ومن أين لرجلٍ عاقلٍ أُمِّيٍّ لا يقرأ ولا يكتب، نشأ ببلاد الحجاز في مكَّة بين قومه وأعمامه؛ خبر إبراهيم

---

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة: (المسيح بن).
(٢) في النُّسخة الخطِّيَّة: (التَّورية).
(٣) في النُّسخة الخطِّيَّة: (يشوبه).
(٤) في النُّسخة الخطِّيَّة: (خبر المسيح وعيسى ومريم).

ومُوسى وعيسى وزكريَّا ويحيى وأيُّوب؟ وخبر ما في التَّوراة[1] من قصص الأنبياء وغيرهم؟

ثُمَّ إنَّه جاء بأمرٍ يقوم به أهل الأرض جميعُهم ـ مُشركهم ويهوديُّهم ونصرانيُّهم وفيلسوفهم ـ بأمرٍ فَصْلٍ حقٍّ.

يشهد العقل الصَّحيح: الباطل الذي كان عليه أهل الأرض ـ شرقها وغربها، من أحمرها وأسودها، وعربها وعجمها ـ، ثُمَّ يشهد العقل الصَّحيح: الذي جاء به مُحمَّدٌ ﷺ مُوافقاً لما في الكُتب التي قبله، ومُهيمناً عليها، قاصًّا لها بجُمل أخبارها قصصاً مُوَفِّياً؛ تحيَّر له عُقول المُنصفين[2] من أهل الكتاب: إذا ذكر مُوسى وقومه وفرعون وما جرى لهم، وكما قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ﴾[3].

وخبر التِّسع آياتٍ[4]، والعشر الكلمات[5]،

---

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة: (التَّورية).

(٢) في النُّسخة الخطِّيَّة: (المُصنفين).

(٣) سُورة الأعراف: الآية ١٧١.

(٤) أخرج عبد الرَّزَّاق الصَّنعانيُّ في «تفسيره» (٢/ ٣٩٠)؛ وابن جريرٍ الطَّبريُّ في «جامعه» (١٥/ ١٧٢) عن عبد الله بن عبَّاسٍ رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ [سُورة الإسراء: الآية ١٠١]، قال: (وهي مُتتابعاتٌ، وهي في سُورة الأعراف: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [الآية: ١٣٠]. قال: السِّنين لأهل البوادي، ونقصٍ من الثَّمرات لأهل القُرى، فهاتان آيتان، ﴿ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ﴾ [الآية: ١٣٣]: فهذه خمسٌ، ويد مُوسى؛ إذ أخرجها بيضاء من غير سُوءٍ ـ والسُّوء: البرص ـ، وعصاه إذ ألقاها فإذا هي ثُعبان مُبينٌ).

(٥) أخرج ابن أبي شيبة في «مُصنَّفه» [كتاب الأوائل/ الحديث رقم =

والمُناجاة[1] على الطُّور، وخبر هارون وأخذ مُوسى برأسه حين اتَّخذوا العجل، وخبرهم في التِّيه، وخبرهم في فلق البحر وإغراق الكُفَّار، وإرسال الطُّوفان والجراد والقُمَّل والضَّفادع والدَّم عليهم، وغير ذلك من الإسرائيليَّات[2]، وخبر بُلعام بن باعُور وإخلاده إلى الأرض، كما قال الله تعالى: ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ﴾ الآية[3].

وقصص من قبلهم من الأنبياء؛ مثل: إبراهيم ولُوطٍ ومن قبلهم من قصَّة نُوحٍ وهُودٍ وصالحٍ وغيرهم.

إذا رأى العاقل إنساناً نشأ بالحجاز؛ لا يقرأ ولا يكتب؛ يقصُّ على الخلق نبأ من قبلهم ـ رأي عيْنٍ كما هُو حقيقة بالنَّفس ـ الذي كانوا عليه، ويُعرِّفهم[4] نهج الحقِّ والصَّواب الذي انحرفوا عنه إلى ضدِّه من الباطل، ويقصُّ عليهم نبأ ما بعدهم ليستدلُّوا بالآتي على ما ظهر من صدق قصصه في الماضي، ثُمَّ يأتي بالعدل في جميع

= (٣٧٠٠٥) ـ ١٩/٥٤٧] عن كعبٍ الأحبار رحمه الله تعالى قال: (كان أوَّل ما نزل القُرآن من التَّوراة عشر آياتٍ، وهي العشر التي أُنزلت في آخر الأنعام).

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة: (والمُناجات).

(٢) المُراد: القصص الحقُّ التي قصَّها الله تعالى في كتابه عن بني إسرائيل، وليس المراد: الأخبار الواردة عن بني إسرائيل؛ ممَّا يُحدَّث عنهم فيها ولا حَرَجَ؛ بلا تصديقٍ ولا تكذيبٍ.

(٣) سُورة الأعراف: الآية ١٧٦.

(٤) في النُّسخة الخطِّيَّة: (تعرفهم).

الأُمور له وعليه، مثل: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾[1]، و﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾[2]، وغير ذلك ممَّا لا يُحصر: شهد العقل قاضياً بأنَّ ذلك أمرٌ إلهيٌّ[3]؛ لا يقوى البشر على ذلك، وأنَّ ذلك هُو الحقُّ وليس من نتائج الفِكْر والعُقول المُخَبِّطَة تارة، والمُصيبة أُخرى، وقضت العُقول بأنَّ ذلك من عند الله، وأنَّه رسول الله، بعثه الله على فترةٍ من الرُّسل، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾[4].

وشهد العقل أنَّ الرَّسول ﷺ مُكلَّفٌ، حَمَل أثقال النُّبوَّة، فهُو منقهرٌ لها، ليس له فيها اختيارٌ.

واكتفت العُقول بذلك عن ظُهور المُعجزات الخارقة للعوائد، فكيف وقد تأيَّد ذلك بالمُعجزات الخارقة؟ مثل[5]: انشقاق القمر، وإطعام النَّفر الكثير من الطَّعام القليل، ونبع الماء من بين أصابعه حتَّى توضَّأ من ذلك أُلوفٌ، وقصَّة بئر الحُديبية حين وضع فيها سهماً من كنانته فجاشت بالماء الكثير، وتكثير الطَّعام في غزوة تبوك وقصَّة عينها وتكثير مائها، وغير ذلك ممَّا لا يُحصى.

---

(١) سُورة عبس: الآية ١.
(٢) سُورة المسد: الآية ١.
(٣) في النُّسخة الخطِّيَّة: (إلي).
(٤) سُورة المائدة: الآية ١٩، وفي النُّسخة الخطِّيَّة: (يا أيُّها النَّاس).
(٥) انظر في أمثلة هذه المُعجزات الخارقة للعوائد: «دلائل النُّبوَّة» للفريابيِّ، «تثبيت دلائل النُّبوَّة» للهمذانيِّ، «أعلام النُّبوَّة» للماورديِّ، «دلائل النُّبوَّة» للبيهقيِّ، »دلائل النُّبوَّة» للأصبهانيِّ.

ثُمَّ إخباره بالمُغيَّبات التي جاءت كما أخبر ـ كفلق الصُّبح ـ عن مصارع أهل بدرٍ، فما ماط أحدهم عن موضع يده.

وأخبر بظُهور دينه، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾[(١)].

وأخبر بقتل الأسود العنسيِّ الكذَّاب ليلة قتله، وبموت النَّجاشيِّ يوم وفاته وصلَّى عليه، وأخبر بقتل جعفر وأصحابه.

وقال: **«ليُتِمَّنَّ هذا الأمر حتَّى يسير الرَّاكب من كذا إلى كذا لا يخاف إلَّا الله؛ والذِّئب على غنمه»**[(٢)].

وأخبر بفتح كُنوز كسرى وقيصر، وكان عديُّ بن حاتمٍ الطَّائيُّ ممَّن افتتح كُنوز كسرى.

---

(١) سُورة التَّوبة: الآية ٣٣، سُورة الصَّفِّ: الآية ٩.

(٢) أخرجه البُخاريُّ في «صحيحه» [كتاب المناقب/ باب علامات النُّبوَّة في الإسلام ـ الحديث رقم (٣٦١٢) ـ ٣/ ١١١٤] من حديث خبَّاب بن الأرتِّ رضي الله عنه، ولفظه: **«شكونا إلى رسول الله ﷺ ـ وهُو مُتوسِّدٌ بُردة له في ظلِّ الكعبة ـ، قُلنا له: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو الله لنا؟ قال: كان الرَّجل فيمن قبلكم يُحفر له في الأرض فيُجعل فيه، فيُجاء بالمنشار فيُوضع على رأسه فيُشقُّ باثنتيْن وما يصدُّه ذلك عن دينه، ويُمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظمٍ أو عَصَبٍ وما يصدُّه ذلك عن دينه، والله؛ ليُتِمَّنَّ هذا الأمر حتَّى يسير الرَّاكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلَّا الله؛ أو الذِّئب على غنمه، ولكنَّكُم تستعجلون»**.

وأخبر بأنَّ عمَّاراً تقتله[1] الفئة الباغية، وأنَّ أشقى النَّاس من يضرب عليًّا على هذه، فيخضب منها هذه، وأنَّ الحسن يُصلح الله به بين فئتيْن عظيمتيْن، وأخبر عُثمان ببلوى بعدها الجنَّة.

وقال لجبل حراء: **«اسكن؛ فما عليك إلَّا نبيٌّ وصدِّيقٌ وشهيدٌ»**[2].

فكانت هذه الإخبارات كُلُّها حقٌّ؛ لم يُخْطِ منها شيءٌ.

ثُمَّ أخبر وقال: **«ليلقينَّ اللهَ أحدُكم، فينظر عن يمينه، فلا يرى إلَّا ما قدَّم، وعن شماله، فلا يرى إلَّا ما قدَّم، وبين يديه، فلا يرى إلَّا النَّار تلقاء وجهه، فاتَّقوا النَّار؛ ولو بشقِّ تمرةٍ»**[3].

---

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة: (يقتله).

(٢) أخرجه مُسلمٌ في «صحيحه» [كتاب فضائل الصَّحابة/ باب من فضائل طلحة والزُّبير رضي الله تعالى عنهما ـ الحديث رقم (٢٤١٧) ـ ٤/ ١٨٨٠] من حديث أبي هُريرة رضي الله عنه، ولفظه: **«أنَّ رسول الله ﷺ كان على جبل حراءٍ فتحرَّك، فقال رسول الله ﷺ: اسكن حراء، فما عليك إلَّا نبيٌّ أو صدِّيقٌ أو شهيدٌ»**.

(٣) أخرجه البُخاريُّ في «صحيحه» [كتاب المناقب/ باب علامات النُّبوَّة في الإسلام ـ الحديث رقم (٣٥٩٣) ـ ٣/ ١١١٠]، ومُسلمٌ في «صحيحه» [كتاب الزَّكاة/ باب الحثِّ على الصَّدقة ولو بشقِّ تمرةٍ أو كلمةٍ طيِّبةٍ وأنَّها حجابٌ من النَّار ـ الحديث رقم (١٠١٦) ـ ٢/ ٧٠٣ ـ ٧٠٤] من حديث عديِّ بن حاتمٍ رضي الله عنه، ولفظ البُخاريِّ: (**وليلقينَّ اللهَ أحدُكُم يوم يلقاه وليس بينه وبينه تُرجمانٌ يُترجم له، فيقولنَّ: ألم أبعث إليك رسولاً فيُبلِّغك؟ فيقول: بلى. فيقول: ألم أُعطك مالاً وولداً وأُفضل عليك؟** =

ثُمَّ أخبر أنَّ الله تعالى يقول لعبده: «**ألم أُعطك مالاً؛ وأَدَعْكَ تَرْأَسُ وتَرْبَعُ؟ ثُمَّ يقول له: فهل ظننتَ أنَّك مُلاقِيَّ؟ فيقول: لا. فيقول: إنِّي نسيتك اليوم كما نسيتني**»[1].

فشهدت العُقول الصَّحيحة: بأنَّ ما أخبر به في المُستقبل حقٌّ، كما أنَّ ما أخبر به من الأُمور الماضية حقٌّ، وتبرهنت نُبوَّته أيَّ بُرهانٍ؛ لا يقوم لها مُعارضٌ من الشُّكوك أصلاً.

وإلى الله نلتجئ؛ وبه نعتصم: في حفظ أَدْيَاننا حتَّى نلقاه؛ وهُو عنَّا راضٍ بكرمه وجُوده، وهُو أرحم الرَّاحمين.

وليس المقصود هنا تعديد خوارقه، فإنَّها أكثر من أن تُحصى إذا تُؤُمِّلت السُّنَّة، ولكن الغرض التَّنبيه على جنسها، ويحصل الغرض بذلك إن شاء الله تعالى.

= **فيقول: بلى. فينظر عن يمينه فلا يرى إلَّا جهنَّم، وينظر عن يساره فلا يرى إلَّا جهنَّم. قال عديٌّ: سمعت النَّبيَّ ﷺ يقول: اتَّقوا النَّار ولو بشقِّ تمرةٍ، فمن لم يجد شقَّ تمرةٍ فبكلمةٍ طيِّبةٍ**» الحديث.

(١) أخرجه مُسلمٌ في «صحيحه» [كتاب الزُّهد والرَّقائق/ الحديث رقم (٢٩٦٨) ـ ٤/ ٢٢٧٩ ـ ٢٢٨٠] من حديث أبي هُريرة رضي الله عنه، ولفظه: «**قالوا: يا رسول الله؛ هل نرى ربَّنا يوم القيامة؟ قال: هل تُضارون في رُؤية الشَّمس في الظَّهيرة ليست في سحابةٍ؟ قالوا: لا. قال: فهل تُضارون في رُؤية القمر ليلة البدر ليس في سحابةٍ؟ قالوا: لا. قال: فوالذي نفسي بيده؛ لا تُضارون في رُؤية ربِّكم إلَّا كما تُضارون في رُؤية أحدهما. قال: فيلقى العبدَ فيقول: أي فُلْ؛ ألم أُكرمك وأُسوِّدك وأُزوِّجك وأُسخِّر لك الخيل والإبل وأَذَرْك تَرْأَس وتَرْبَع؟ فيقول: بلى. قال: فيقول: أفظننت أنَّك مُلاقِيَّ؟ فيقول: لا. فيقول: فإنِّي أنساك كما نسيتني**» الحديث.

فصلٌ

إذا علمت أيُّها الذَّكيُّ ذلك؛ فانظر بعقلك؛ وتأمَّل كُتب السُّنَّة والحديث واختلاف رُواتها وشُيوعهم[1] في الأمصار والبُلدان والآفاق في شرق الأرض وغربها، كيف اتَّفقوا على هذه الأُصول؟ فيُعلم أنَّ ذلك كما كان، فيقوم من قليلِ شاهدِ تصديقِ النُّبوَّة ـ وإن لم ترها ـ كما يقوم عندك شاهد العلم الضَّروريِّ بوجود إقليم الهند والرُّوم؛ وإن لم تره.

ثُمَّ اعلم أنَّ نبيَّك هذا ﷺ[2] وصف ربَّه الذي نزَّل عليه الكتاب بأنَّه فوق عرشه، حيٌّ عالمٌ قادرٌ مُتكلِّمٌ سميعٌ بصيرٌ مُريدٌ، يعلم كُلَّ شيءٍ، ويُبصر كُلَّ شيءٍ، ولا يخفى من علمه شيءٌ، وهُو ذُو الجلال والإكرام، لا جلال أتمَّ من جلاله، ولا جمال أنهى من جماله.

فافتح عينك، ولا يطول عليك الطَّريق بالجُوع والرِّياضة واليُبْس والتَّقشُّف وكثرة الأعمال.

وافتقر فِقْرة الأكياس من الجهل إلى العلم بالنَّبيِّ ﷺ، وصدِّقه بجميع ما أخبر، وأطعه في جميع ما أمر.

ثُمَّ افتقر فِقْرة الأكياس إلى العلم بالله، وعلِّق فُؤادك وكُلَّك به، وأحبَّه من كُلِّ قلبك، وعظِّمه وراقبه وأطعه وادعه وسامره كأنَّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنَّه يراك.

---

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة: (شبوعهم).

(٢) في حاشية النُّسخة الخطِّيَّة: (مطلبٌ: في بيان طريق الكمال).

واجْهَد[1] على أن تُوصل قلبك بمعرفته ونُوره، فمتى اتَّصل قلبك به؛ وسكن الاتِّصال في محلِّ دبيب الخواطر مُناجاةً له ومُسامرةً؛ تلذُّذاً بجماله وكماله، فأنت إذاً من خواصِّه المُحبِّين له؛ والعارفين به.

فعِشْ بقُربه بقيَّة عُمرك، وتلذَّذ ببهجة جماله، ولذاذة مُسامرته، واستند إليه، وفوِّض أمرك إليه، وارفع حوائجك نحو كرمه، واستعن به، يكفيك ويتوكَّل لك في شُؤونك، ويُعينك، ويُسكن حُبَّه قلبك، ويتَّصل سرُّك به؛ كالشَّيء تعلَّق بالشَّيء، وكالخُطَّاف[2] إذا تعلَّق به شيءٌ.

واجعل قلبك له نصيباً؛ خاصَّة لحُبِّه ووداده، فمتى كان القلب خاصًّا لله يُرجى أن يقبله الله ويرفعه إليه بكرمه ورحمته.

وهذا الحال هُو أشرف النَّسب للعبد؛ إذ لا نسبة أشرف في حقِّه من محبَّته لربِّه ومعرفته له واستغنائه به واستناده إليه.

واعلم أنَّ هذا سُلوك الأذكياء الأكياس؛ أهل الفِطَن الرَّاجحة؛ والعُقول الصَّحيحة ـ الذين لا يحتاجون إلى تعبٍ شديدٍ، ولا إلى جُهدٍ جهيدٍ، من التَّقطُّع والرِّياضات، ومُكابدة المشقَّات ـ: عرفوه بنبيِّه ﷺ، علقت قُلوبهم به، واتَّصلت بنُوره اتِّصالاً لا انفصال له بمعونة الله وتأييده، و﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[3].

---

(١) أي: ابْلُغْ غايتك.

(٢) أي: كالحديدة المعطوفة المُعوجَّة.

(٣) سُورة الحديد: الآية ٢١، سُورة الجُمعة: الآية ٤.

والحمد لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله على سيِّدنا مُحمَّد وآله وصحبه؛ وسلَّم تسليماً كثيراً إلى يوم الدِّين[1].

❑❑❑

(١) كان الفراغ من تقييد التَّعليق؛ وتمام الختام من هذا التَّحقيق: في مدينة مارنغا؛ في ولاية بارنا؛ في جُمهوريَّة البرازيل، في يوم الخميس ١ ربيعِ الآخر ١٤٣٣هـ؛ الموافق ٢٣ فبراير (شُباط) ٢٠١٢م.

لقاءُ العشرِ الأواخرِ
بالمسجدِ الحرامِ
(٢٢٦)

عُمدةُ الطُّلّابِ
مِن مُؤمِني أهلِ الكِتابِ

المُشْتَاقِينَ إِلَى ذَوْق الأَحْبَابِ، الرَّاغِبِينَ فِي
رُسُوخِ بِينِ الإِسْلامِ فِي السَّرائِرِ وَالأَلْبَابِ

تأليفُ
الإمامِ الزّاهِدِ النّاسِكِ، والعالِمِ العابِدِ السّالِكِ
عمادِ الدّينِ أبي العبّاسِ أحمدَ بنِ إبراهيمَ الواسطيِّ
المعروفِ بابنِ شيخِ الحزّاميّين
(٦٥٧ - ٧١١ هـ)

تحقيق وتعليق
الدكتور وليد بن محمد بن عبد الله العليّ

بسم الله الرحمن الرحيم

ربِّ يَسِّر وأَعِن بكرمك

الحمد لله الذي فتح بالإيمان مغالق القُلوب، ومنَّ بالهُدى والمعرفة على من يرجع إليه من الذُّنوب، المُفرِّج برُوح الفَرَج من خزائن الألطاف عن أهل الآصار والكُروب، مُرسل سُحُب المواهب على القُلوب المُشتاقة بأمطار الرَّحمة الخاصَّة ونيل المطلوب، فالق ما أُرتق من الأرواح بفيض الأنوار وأسرار الغُيوب، الجاذب لأرواح مُحبِّيه من عوالمها الأرضيَّة إلى أَوْج سعادتها باتِّصالها بالمحبوب، الفاتح لعُيون البصائر في غُيوب السَّرائر لمُلاحظات بهجة الجمال الأحديِّ والجلال السَّرمديِّ فهي به قريرة في أجمل أُسلوبٍ.

وله الحمد أوَّلاً وآخراً وظاهراً وباطناً؛ كما هُو أهلٌ وكما ينبغي لكرم وجهه وعزَّ جلاله وعظمته.

ونشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له؛ كما شهد هُو لنفسه وملائكته وأُولوا العلم من خلقه بأنَّه الواحد لا إله إلَّا هُو الحيُّ القيُّوم القائم بقسطه.

ونشهد أنَّ مُحمَّداً ﷺ عبده ورسوله؛ بعثه على حين فترةٍ من

الرُّسل مُصدِّقاً لما بين يديْه إلى كافَّة الخلق عُموماً، وأوحى إليه كما أوحى إلى نُوحٍ والنَّبيِّين من بعده[1]، فقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَـٰرُونَ وَسُلَيْمَـٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَـٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ لَّـٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾[2].

وكانت لله الحُجَّة البالغة علينا وعلى كافَّة الخلق ببعثه بالكتاب إلينا، وإرساله، وإرشادنا إلى الحقِّ والهُدى، وبأقواله وأفعاله، كما قال تعالى: ﴿وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَـٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَـٰفِلِينَ﴾ إلى قوله: ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾[3]. وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا﴾ إلى قوله: ﴿صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[4]. وقال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[5]. وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾

---

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة: (قبله).

(٢) سُورة النِّساء: الآيات ١٦٣ ـ ١٦٦، في النُّسخة الخطِّيَّة: (يشهد بما أنزله).

(٣) سُورة الأنعام: الآيات ١٥٥ ـ ١٥٧.

(٤) سُورة المائدة: الآيتان ١٥ ـ ١٦. في النُّسخة الخطِّيَّة: (قل يا أهل الكتاب).

(٥) سُورة الأعراف: الآيات ١٥٦ ـ ١٥٨.

إلى قوله: ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ الآية[2].

فهُو البشير والنَّذير، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ الآية[3].

وهُو الخاتم للنُّبوَّة والشَّرائع؛ والهادي إلى طريق الحقِّ في أوضح السُّبل والمهايع[4]، صلَّى الله عليه وعلى آله صلاة دائمة تكون لصاحبها ذُخراً يوم ردِّ الودائع.

وبعد:

فقد رُوي في الحديث الصَّحيح عن أنسٍ قال: قال رسول الله ﷺ: **«ثلاثٌ من كُنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان؛ من كان الله ورسوله أحبَّ إليه ممَّا سواهما، ومن أحبَّ عبداً لا يُحبُّه إلَّا لله، ومن يكره أن يعود في الكُفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يُلقى في النَّار»** مُتَّفقٌ عليه، رواه البُخاريُّ ومُسلمٌ والتِّرمذيُّ والنَّسائيُّ[5].

---

(١) سُورة الجُمعة: الآيات ٢ ـ ٤.
(٢) سُورة الحديد: الآية ٢٨.
(٣) سُورة الأحزاب: الآية ٤٥.
(٤) طريق مهيع: أي واسعٌ.
(٥) «صحيح البُخاريِّ» [كتاب الإيمان/ باب من كره أن يعود في الكُفر كما يكره أن يُلقى في النَّار من الإيمان ـ الحديث رقم (٢١) ـ ١/ ٣١]، «صحيح مُسلمٍ» [كتاب الإيمان/ باب بيان خصالٍ من اتَّصف بهنَّ وجد حلاوة الإيمانَ ـ الحديث رقم (٤٣) ـ ١/ ٦٦]، «سُنن الترمذيِّ» [كتاب =

وروي عن العبَّاس بن عبد المُطَّلب أنَّ رسول الله ﷺ قال: **«ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًّا وبالإسلام ديناً وبمُحمَّدٍ رسولاً»** أخرجه مُسلمٌ والتِّرمذيُّ(١).

وعن أنسٍ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يُؤمن أحدكم حتَّى أكون أحبَّ إليه من والده وولده والنَّاس أجمعين»** مُتَّفقٌ على صحَّة هذا الحديث(٢).

وعنه ﷺ قال: **«والذي نفس مُحمَّدٍ بيده؛ لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأُمَّة يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ ثُمَّ يموت ولم يُؤمن بالذي أُرسلت به إلَّا كان من أصحاب النَّار»**(٣).

= الإيمان/ باب (١٠) ـ الحديث رقم (٢٦٢٤) ـ ص٥٩١]، «سُنن النَّسائيِّ» [كتاب الإيمان وشرائعه/ باب طعم الإيمان ـ الحديث رقم (٤٩٨٧) ـ ص٧٥٧]، واللَّفظ للبُخاريِّ.

(١) «صحيح مُسلم» [كتاب الإيمان/ باب الدَّليل على أنَّ من رضي بالله ربًّا وبالإسلام ديناً وبمُحمَّدٍ ﷺ رسولاً، فهُو مُؤمنٌ وإن ارتكب المعاصي الكبائر ـ الحديث رقم (٣٤) ـ ١/ ٦٢]، «سُنن الترمذيِّ» [كتاب الإيمان/ باب (١٠) ـ الحديث رقم (٢٦٢٣) ـ ص٥٩١]، واللَّفظ لمُسلم.

(٢) «صحيح البُخاريِّ» [كتاب الإيمان/ باب حُبِّ الرَّسول ﷺ من الإيمان ـ الحديث رقم (١٥) ـ ١/ ٣٠]، «صحيح مُسلم» [كتاب الإيمان/ باب وُجوب محبَّة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل والولد والوالد والنَّاس أجمعين، وإطلاق عدم الإيمان على من لم يُحبَّه هذه المحبَّة ـ الحديث رقم (٤٤) ـ ١/ ٦٧].

(٣) أخرجه مُسلمٌ في «صحيحه» [كتاب الإيمان/ باب وُجوب الإيمان برسالة نبيِّنا مُحمَّدٍ ﷺ إلى جميع النَّاس ونسخ الملل بملَّته ـ الحديث رقم (١٥٣) ـ ١/ ١٣٤] من حديث أبي هُريرة رضي الله عنه.

ورُوي عنه ﷺ قال: «**كُلُّ أُمَّتي يدخلون الجنَّة إلَّا من أَبَى. قالوا: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: من أطاعني دخل الجنَّة، ومن عصاني فقد أبى**»[1].

وعن أبي مُوسى أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**ثلاثةٌ يُؤتون أجرهم مرَّتيْن: رجلٌ كانت له جاريةٌ فأدَّبها فأحسن أدبها ثُمَّ أعتقها وتزوَّج بها، ورجلٌ من أهل الكتاب آمن بكتابه وآمن بمُحمَّدٍ ﷺ، وعبدٌ أحسن عبادة الله ونصح سيِّده**» مُتَّفقٌ على صحَّته[2].

وعن جابرٍ قال[3]: «**جاءت ملائكةٌ إلى النَّبيِّ ﷺ وهُو نائمٌ فقالوا: إنَّ لصاحبكم هذا مثلاً، فاضربوا له مثلاً. قال بعضهم: إنَّه نائمٌ. وقال بعضهم: إنَّ العين نائمةٌ والقلب يقظان. فقالوا:**

---

(١) أخرجه البُخاريُّ في «صحيحه» [كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة/ باب الاقتداء بسُنن رسول الله ﷺ ـ الحديث رقم (٧٢٨٠) ـ ٥/ ٢٢٧٣] من حديث أبي هُريرة رضي الله عنه.

(٢) «صحيح البُخاريِّ» [كتاب العتق/ باب العبد إذا أحسن عبادة ربِّه ونصح سيِّده ـ الحديث رقم (٢٥٤٧) ـ ٢/ ٧٦٧]، «صحيح مُسلم» [كتاب الإيمان/ باب وُجوب الإيمان برسالة نبيِّنا مُحمَّدٍ ﷺ إلى جميع النَّاس ونسخ الملل بملَّته ـ الحديث رقم (١٥٤) ـ ١/ ١٣٤ ـ ١٣٥]، ولفظ مُسلم: «**ثلاثةٌ يُؤتون أجرهم مرَّتيْن: رجلٌ من أهل الكتاب آمن بنبيِّه وأدرك النَّبيَّ ﷺ فآمن به واتَّبعه وصدَّقه؛ فله أجران، وعبدٌ مملوكٌ أدَّى حقَّ الله تعالى وحقَّ سيِّده؛ فله أجران، ورجلٌ كانت له أَمَةٌ فغَذَاهَا فأحسن غِذَاءَهَا ثُمَّ أدَّبها فأحسن أدبها ثُمَّ أعتقها وتزوَّجها؛ فله أجران**».

(٣) في حاشية النُّسخة الخطِّيَّة: (مطلبٌ: في مثل النَّبيِّ ﷺ).

مثله كمثل رجلٍ بنى داراً وجعل فيها مأدُبة وبعث داعياً، فمن أجاب الدَّاعي دخل الدَّار، ومن لم يُجب الدَّاعي لم يدخل الدَّار ولم يأكل من المأدُبة. فقالوا: أوِّلوها يفقهها. قال بعضهم: إنَّه نائمٌ. وقال بعضهم: إنَّ العين نائمةٌ والقلب يقظان. فقالوا: فالدَّار الجنَّة، والدَّاعي مُحمَّدٌ ﷺ، فمن أطاع مُحمَّداً فقد أطاع الله، ومن عصى مُحمَّداً فقد عصى الله، ومُحمَّدٌ فرق[1] بين النَّاس»[2].

قال البغويُّ: حديثٌ صحيحٌ[3].

وعن أبي مُوسى عن النَّبيِّ ﷺ قال: «إنَّ مثل ما بعثني الله به كمثل رجلٍ أتى قوماً فقال: يا قوم؛ إنِّي رأيت الجيش بعيني وأنا النَّذير العُريان، فالنَّجاة النَّجاة، فأطاعه طائفةٌ من قومه؛ فأدلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا، وكذَّبت طائفةٌ منهم؛ فأصبحوا مكانهم، فصبَّحهم الجيش، فأهلكم واجتاحهم، فذلك مثل من أطاعني فاتَّبع ما جئت به، ومثل من عصاني وكذَّب ما جئت به من الحقِّ» مُتَّفقٌ على صحَّته[4].

---

(١) قال ابن حجرٍ في «فتح الباري» (١٣/ ٢٥٦): (لأبي ذرٍّ بتشديد الرَّاء فعلاً ماضياً، ولغيره بسُكون الرَّاء والتَّنوين، وكلاهما مُتَّجِهٌ).

(٢) أخرجه البُخاريُّ في «صحيحه» [كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة/ باب الاقتداء بسُنن رسول الله ﷺ ـ الحديث رقم (٧٢٨١) ـ ٥/ ٢٢٧٣].

(٣) «شرح السُّنَّة» للبغويِّ [كتاب الإيمان/ باب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة ـ الحديث رقم (٩٣) ـ ١/ ١٩٣].

(٤) «صحيح البُخاريِّ» [كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة/ باب الاقتداء بسُنن رسول الله ﷺ ـ الحديث رقم (٧٢٨٣) ـ ٥/ ٢٢٧٤]، «صحيح مُسلمٍ» =

وعن أبي هُريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّما مثلي كمثل رجلٍ استوقد ناراً فلمَّا أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه[1] الدَّوابُّ التي تقع في النَّار يقعن فيها، وجعل يحجزهُنَّ ويغلبنه فيقتحمن فيها، فذلك مثلي ومثلكُم، أنا آخذٌ بِحُجَزِكُم عن النَّار؛ هلمَّ عن النَّار، فتغلبوني فتقتحمون فيها**» رواه البُخاريُّ ومُسلمٌ والتِّرمذيُّ[2].

وعن أبي مُوسى عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**مثل ما بعثني الله به الهُدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً، وكانت طائفةٌ منها طيِّبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعُشب الكثير، وكانت منها طائفةٌ أجادب[3] أمسكت الماء فنفع الله بها فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفةً أُخرى إنَّما[4] هي قيعان لا تُمسك ماء ولا تُنبت كلأً، فذلك مثل من فَقُه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به، فعَلِم وعلَّم،**

= [كتاب الفضائل/ باب شفقته ﷺ على أُمَّته ومُبالغته في تحذيرهم ممَّا يضرُّهم ـ الحديث رقم (٢٢٨٣) ـ ٤/ ١٧٨٨].

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة: (جعل الله الفراش وهو).

(٢) «صحيح البُخاريِّ» [كتاب الرِّقاق/ باب الانتهاء عن المعاصي ـ الحديث رقم (٦٤٨٣) ـ ٤/ ٢٠٣٤]، «صحيح مُسلم» [كتاب الفضائل/ باب شفقته ﷺ على أُمَّته ومُبالغته في تحذيرهم ممَّا يضرُّهم ـ الحديث رقم (٢٢٨٤) ـ ٤/ ١٧٨٩]، «سُنن التِّرمذيِّ» [كتاب الأمثال/ باب ما جاء في مَثَل ابن آدم وأجله وأمله ـ الحديث رقم (٢٨٧٤) ـ ص٦٤٢].

(٣) في النُّسخة الخطِّيَّة: (أجاذب).

(٤) في النُّسخة الخطِّيَّة: (ما).

ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هُدى الله الذي أُرسلت به» مُتَّفقٌ على صحَّته[1].

والأجادب: صلاب الأرض التي تُمسك الماء. ويُروى: إخاذات[2]: وهي الغُدران[3].

وعن العرباض بن سارية قال: «**وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة ذرفت منها العُيون، ووجلت منها القُلوب، فقال قائلٌ: يا رسول الله؛ كأنَّها موعظة مُودِّعٍ فأوصنا. قال: أُوصيكُم بتقوى الله، والسَّمع والطَّاعة؛ وإن كان عبداً حبشيًّا، فإنَّه من يعش منكُم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكُم بسُنَّتي وسُنَّة الخُلفاء الرَّاشدين المهديِّين، تمسَّكُوا بها، وعضُّوا عليها بالنَّواجذ، وإيَّاكُم ومُحدثات الأُمور، فإنَّ كُلَّ مُحدثةٍ بدعةٌ، وكُلَّ بدعةٍ ضلالةٌ**» رواه أبو داود والتِّرمذيُّ[4].

---

(١) «صحيح البُخاريِّ» [كتاب العلم/ باب فضل من عَلِمَ وعَلَّم ـ الحديث رقم (٧٩) ـ ١/ ٥٣]، «صحيح مُسلمٍ» [كتاب الفضائل/ باب بيان مَثَل ما بُعث به النَّبيُّ ﷺ من الهُدى والعلم ـ الحديث رقم (٢٢٨٢) ـ ٤/ ١٧٨٧ ـ ١٧٨٨].

(٢) قاله البغويُّ في «شرح السُّنَّة» [كتاب العلم/ باب التَّفقُّه في الدِّين ـ الحديث رقم (١٣٥) ـ ١/ ٢٨٩].

(٣) في النُّسخة الخطِّيَّة: (الغدوان).

(٤) «سُنن أبي داود» [كتاب السُّنَّة/ باب في لُزُوم السُّنَّة ـ الحديث رقم (٤٦٠٧) ـ ص٦٩١]، «سُنن التِّرمذيِّ» [كتاب العلم/ باب ما جاء في الأخذ بالسُّنَّة واجتناب البدع ـ الحديث رقم (٢٦٧٦) ـ ص٦٠٣].

وعن عبد الله بن عمرو عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**لا يُؤمن أحدكُم حتَّى يكون هواه تبعاً لما جئت به**»(١).

وعنه ﷺ قال: «**إنَّ الدِّين بدأ غريباً؛ ويرجع غريباً، فطُوبى للغُرباء، الذين يُصلحون ما أفسد النَّاس من بعدي من سُنَّتي**»(٢).

وعنه ﷺ قال: «**من تمسَّك بسُنَّتي عند فساد أُمَّتي؛ فله أجر مائة شهيدٍ**»(٣).

وعن أبي هُريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**النَّاس معادن كمعادن الفضَّة والذَّهب، خيارهُم في الجاهليَّة خيارهُم في الإسلام**» مُتَّفقٌ عليه(٤).

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في «السُّنَّة» [باب ما يجب أن يكون هوى المرء تبعاً لما جاء به النَّبيُّ ﷺ ـ الحديث رقم (١٥) ـ ١/ ٤٥ ـ ٤٦]، والبغويُّ في «شرح السُّنَّة» [كتاب الإيمان/ باب ردِّ البدع والأهواء ـ الحديث رقم (١٠٤) ـ ١/ ٢١٢].

(٢) أخرجه التِّرمذيُّ في «سُننه» [كتاب الإيمان/ باب ما جاء أنَّ الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً ـ الحديث رقم (٢٦٣٠) ـ ص٥٩٣].

(٣) أخرجه الطَّبرانيُّ في مُعجميه «الكبير» [الحديث رقم (١٣٢٠) ـ ٢٠/ ٥٠]، و«الأوسط» [الحديث رقم (٥٤١٤) ـ ٥/ ٣١٥]، ولفظه: «**المُتمسِّك بسُنَّتي عند فساد أُمَّتي له أجر شهيدٍ**». قال الهيثميُّ في «مجمع الزَّوائد» (١/ ٢١٠): (رواه الطَّبرانيُّ في «الأوسط»، وفيه مُحمَّد بن صالحٍ العدويُّ، ولم أر من تَرْجَمَه، وبقيَّة رجاله ثقاتٌ).

(٤) «صحيح البُخاريِّ» [كتاب أحاديث الأنبياء/ باب قول الله تعالى: =

* فالمُؤمن من أهل الكتاب إذا شرح الله صدره للإيمان، ونوَّر قلبه بالبيِّنات الواضحة من الإيقان، بعد قراءة سالف الكُتب والنُّبوَّات، ومعرفة الرَّبِّ تعالى من شرائعه السَّابقات، ورزقه الله تعالى الفهم عنه فيها، وحسن الإصغاء إلى تدبُّر قواعدها ومعانيها، ثُمَّ تدبَّر كلام الله تعالى القديم، المُنزَّل على مُحمَّدٍ ﷺ النَّبيِّ الكريم؛ وجد النُّبوَّات شاهدة يشهد بعضها لبعضٍ بالحقِّ والتَّصديق، ينعطف بعضها على بعضٍ بالتَّشريع الإلهيِّ على التَّحقيق، ثُمَّ وقف بعد ذلك على أحاديث الرَّسول ﷺ وهُو الذي ما ينطق عن الهوى، المُتكلِّم بها من عين النُّبوَّة ومعدن الحقِّ والهُدى: علم أنَّه قد أُوتي جوامع الكلم وفصل الخطاب، وعرف أنَّ دينه هُو الدِّين الجامع الكامل كما تحقَّقه أُولوا الألباب، لكونه خاتم الأنبياء المُكمِّل للنُّبوَّة والمُتمِّم لها ولهذا كان دينه أكمل الأديان، ونبؤه أوضح الأنباء وأنوار البُرهان، خُصوصاً إذا تأمَّل مُعجزاته ﷺ، وخوارق عاداته وآياته، من مبادئ حمل أُمِّه به إلى ميلاده، وإلى حين مبعثه وتناهي حالاته، وذلك ممَّا انتشر به أخبار الثِّقات، في سائر البُلدان والجهات، خُصوصاً وقد وردت في أُمورٍ

= ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ﴾ ـ الحديث رقم (٣٣٨٣) ـ ٢/ ١٠٤٦]، «صحيح مُسلمٍ» [كتاب البرِّ والصِّلة والآداب/ باب الأرواح جُنودٌ مُجنَّدةٌ ـ الحديث رقم (٢٦٣٨) ـ ٤/ ٢٠٣١ ـ ٢٠٣٢]، ولفظ مُسلمٍ: **«النَّاس معادن كمعادن الفضَّة والذَّهب، خيارهم في الجاهليَّة خيارهم في الإسلام إذا فَقُهُوا، والأرواح جُنودٌ مُجنَّدةٌ، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف»**.

مُختلفةِ الأنواع، بروايات أقوام مُتبايني الهمم والدَّواعي والطِّباع، فيكون حُكم مجموع ذلك مُوجِباً للعلم الضَّروريِّ؛ لأنَّ الأُمَّة قد تداولته عصراً بعد عصرٍ؛ وقرناً بعد قرنٍ، فيكون العلم به كالعلم بوُجود آدم ونوحٍ، وإرسال إبراهيم إلى النَّمرود، وإرسال مُوسى وهارون إلى فرعون بسُلطانٍ مُبينٍ، وكالعلم بسخاء حاتم وشجاعة عليٍّ، بل كالعلم ببعثه ﷺ، فإنَّ العلم ببعثه ﷺ ضروريٌّ قطعيٌّ مُتواترٌ به، بأنَّه دعا إلى عبادة الله ونهى عن عبادة الأصنام دُون الله.

فلمَّا كان العلم بظُهوره مُتواتراً راسخاً في القُلوب لما تداولته الأُمَّة قرناً بعد قرنٍ وعصراً بعد عصرٍ، فصار مقطوعاً بصحَّته؛ **فكذلك مجموع أخبار مُعجزاته** ـ وإن كان فيها أخبار آحاد لكن مجموعها من النَّقلة الكثيرين المُتفرِّقين في آفاق الدُّنيا المُتبايني الهمم والدَّواعي ـ **بوُجوب العلم الضَّروريِّ بأنَّه ﷺ كانت تظهر عليه آياتٌ خارقةٌ للعادة**[1]**، ومُعجزاتٌ بيِّنةٌ لنُبوَّته شاهدةٌ ولها مُنقادة.**

فنذكر منها جُملاً مُلخَّصة تداولتها الأُمَّة عصراً بعد عصرٍ[2]، فإنَّ مُعجزاته ﷺ أكثر من أن تُحصى؛ لأنَّ أمره كُلَّه عَجَبٌ[3]:

فمنها: القُرآن المجيد الذي تحدَّى به فُصحاء الشَّرق والغرب، وكُلُّهم عجز عن الإتيان بسُورةٍ من مثله، وعرَّضوا أنفسهم للقتل وأولادهم للسَّبي وديارهم للهلاك وكانوا أُمراء الكلام، وفُرسان

---

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة: (العادة).
(٢) في حاشية النُّسخة الخطِّيَّة: (مطلبٌ: مُعجزات الرَّسول ﷺ).
(٣) في النُّسخة الخطِّيَّة: (عجباً).

النِّظام، يتباهون بالفصاحة وتحبير الشِّعر والبلاغة، فتحدَّاهم ﷺ مرَّة بعد أُخرى على أن يأتوا بسُورةٍ من مثله، وهُم يسمعون كلاماً عربيًّا يُتلى عليهم، مُتشابه الوصف، مُتجانس الرَّصْف[1]، سهل الموضوع، عذب المسموع، خارجاً عن معهود القريض والأسجاع، مُستعذباً في الأفهام والأسماع، فلمَّا عدلوا عن مُعارضته ـ التي لو تمَّت لدلَّت على خلاف مُدَّعاه ـ إلى قتاله؛ كان الإعجاز قاهراً، وقد تلى عليهم: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[2]، فالقُرآن العظيم رأس المُعجزات، وهُو من أقوى براهين النُّبوَّة الدَّالات.

ومنها: أنَّه شقَّ الله له القمر بمكَّة لمَّا سألته قُريشٌ آية.

ومنها: أنَّه أطعم النَّفر الكثير في منزل جابر، ومنزل أبي طلحة، ويوم الخندق، مرَّة ثمانين من أربعة أمداد شعيرٍ وعَناقٍ ـ وهُو من أولاد المعز ـ، ومرَّة أكثر من ثمانين من أقراص شعيرٍ حملها أنسٌ في يده، ومرَّة أهل الجيش[3] من تمرٍ يسيرٍ حتَّى شبعوا من ذلك وفضل لهُم.

ومنها: أنَّه نبع الماء من بيْن أصابعه؛ فشرب أهل العسكر وهُم عِطَاشٌ، وتوضَّؤوا من قدحٍ صغيرٍ ضاق عن أن يبسط فيه يده.

---

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة: (الوصف).

(٢) سُورة الإسراء: الآية ٨٨.

(٣) في النُّسخة الخطِّيَّة: (الحبش).

ومنها: أنَّه أهراق وَضُوءه في عين تبوكٍ وهي مثل الشِّرَاك[1]، ومرَّة أُخرى في بئر الحُديبية، فجاشتا بالماء، فَشُرِبَ من عين تبوكٍ ـ وهُم أُلوفٌ ـ حتَّى رووا، وشَرِبَ من بئر الحُديبية ألفٌ وخمسمائة، ولم يكن فيها طائلٌ[2] من الماء.

ومنها: أنَّه أمر عُمر بن[3] الخطَّاب أن يُزوِّد أربعمائة راكبٍ من تمرٍ كان في اجتماعه كرِبْضَة البعير ـ وهُو موضع بُروكه ـ، فزوَّدهُم كُلَّهُم منه وبقي كحاله.

ومنها: أنَّه رمى الجيش بقبضةٍ من تُرابٍ فعميت عُيونُهم، ونزل بذلك القُرآن، قال تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾[4].

ومنها: أنَّ الله أبطل الكهانة بمبعثه، وكان قبل ذلك يُوحي الشَّياطين إلى أوليائهم ما يسترقون به من السَّمع، فلمَّا بُعث ﷺ حُجبوا عن خبر السَّماء ورُموا بثواقب الشُّهب، فطافوا شرق الأرض وغربها حتَّى سمعوا القُرآن، ﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ۝١ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا﴾[5]، وهُم الذين آمنوا من الجنِّ.

---

(١) هُو أحد سُيور النَّعل، وهُو الذي يكون على وجهها وعلى ظهر القدم. ومعناه: ماءٌ قليلٌ جدًّا.

(٢) أي: ما ينفع ويُفيد.

(٣) في النُّسخة الخطِّيَّة: (ابن).

(٤) سُورة الأنفال: الآية ١٧.

(٥) سُورة الجنِّ: الآيتان ١ ـ ٢.

ومنها: أنَّه كان في المسجد جذعٌ يستند إليه، فلمَّا عُمِل له المنبر ورقى عليه؛ حنَّ ذلك الجذع إليه، حتَّى سمع الحاضرون من أصحابه صوتاً كاد منه أن ينشقَّ، فنزل النَّبيُّ ﷺ حتَّى ضمَّه إليه، فجعل يئنُّ أنين الصَّبيِّ حتَّى استقرَّ.

وأنذر عُثمانَ رضي الله عنه بأنَّه يُصيبه بلوى بعدها الجنَّة، وبأنَّ عمَّاراً تقتله الفئة الباغية، وبأنَّ الحسن بن عليٍّ يُصلح الله به بين فئتيْن عظيمتيْن من المُسلمين.

وأخبر عن رجلٍ قاتل في سبيل الله أنَّه من أهل النَّار، فبان بَعْدُ أنَّه قتل نفسه.

واتَّبعه سُراقة بن مالك بن جُعْشُم[1] حتَّى ساخت يدا فرسه في الأرض، حتَّى استغاثه، فدعا له؛ فانطلقت الفرس، وأنذره بأنَّه سيوضع في ذراعيْه سوار كسرى، فكان كذلك.

وأخبر بقتل الأسود العَنْسِيِّ الكذَّاب ليلة قتله، وهُو بصنعاء اليمن، وأخبر بمن قتله.

وخرج على مائةٍ من قُريشٍ وهُم ينتظرونه ليلة مُهاجرته إلى المدينة، فوضع التُّراب على رُؤوسهم فلم يروه.

وشكى إليه البعير بحضرة أصحابه ودمعت عيناه وتذلَّل له، فدعا صاحبه، وقال له: «**إنَّ هذا يشكوك بأنَّك تُجيعه وتدأبه**»[2].

---

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة: (خشعم).

(٢) أي: تُتعبه.

وقال لنفرٍ من أصحابه مُجتمعين: «**أحدكُم ضرسه في النَّار مثل أُحدٍ**»[1]. فماتوا كُلُّهُم على استقامةٍ؛ وارتدَّ واحدٌ منهم، وهُو الرَّجل الحنفيُّ؛ فقُتل مُرتدًّا.

وقال لآخرين منهم: «**آخركُم موتاً في النَّار**»[2]. فسقط آخرهُم موتاً في نارٍ؛ فاحترق فيها ومات.

ودعا شجرتيْن حين أراد أن يتبرَّز في الخلاء تحتهُما؛ ليُظلاه ويستراه؛ فأتياه طائعتيْن واجتمعتا، ثُمَّ أمرهُما؛ فافترقتا.

وكان ﷺ نحو الرَّبْعَة من الرِّجال؛ وإذا مشى مع الطِّوَال.

---

(١) أخرجه الحُميديُّ في «مُسنده» [الحديث رقم (١١٧٧) ـ ٢/ ٤٩٦] من حديث أبي هُريرة رضي الله عنه، ولفظه: «**عن رجلٍ من بني حنيفة أنَّه سمعه يقول: قال لي أبو هُريرة: أتعرف رجَّالا؟ قُلتُ: نعم. قال: فإنِّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: ضرسه في النَّار أعظم من أُحُدٍ. فكان أسلم ثُمَّ ارتدَّ ولحق بمُسيلمة، وقال: كبشان انتطحا، فأحبُّهما إليَّ أن يغلب كَبْشِي**».

(٢) أخرجه الطَّبرانيُّ في «مُعجمه الكبير» [الحديث رقم (٦٦٠٨) ـ ٦/ ٣١٢]، ولفظه: «**عن عليِّ بن زيدٍ عن أوس بن خالدٍ قال: كُنتُ إذا قدمت على أبي محذورة سألني عن رجلٍ، وإذا قدمت على الرَّجل سألني عن أبي محذورة، فقُلتُ لأبي محذورة: إذا قدمتُ عليك سألتني عن فُلانٍ، وإذا قدمتُ عليه سألني عنك؟ فقال: كُنتُ أنا وأبو هريرة وفُلانٌ في بيتٍ، فقال النَّبيُّ ﷺ: آخركم موتاً في النَّار. فمات أبو هُريرة، ثُمَّ مات أبو محذورة، ثُمَّ مات الرَّجل**». قال الهيثميُّ في «مجمع الزَّوائد» (٨/ ٢٤٥): (رواه الطَّبرانيُّ، وأوس بن خالدٍ لم يرو عنه غير عليِّ بن زيدٍ، وفيهما كلامٌ، وبقيَّة رجاله رجال الصَّحيح).

وكان ينزل عليه الوحي في اليوم الشَّديد البرد؛ فيفصم[1] عنه، وإنَّ جبينه ليتفصَّد عرقاً.

ورآه يوماً أبو جهلٍ، فجاء ليطأ رقبته الكريمة، فما فجئهُم إلَّا وهُو ينكص على عقبيْه ويتَّقي بيده، فقيل له: مالك؟ قال: إنَّ بيني وبينه خندقاً من نارٍ وهولاً وأجنحة. فقال ﷺ: «**لو دنا منِّي لاختطفته الملائكة عضواً عضواً**»[2].

وقال لعَدِيِّ بن حاتم: «**هل رأيت الحيرة؟ فإن طالت بك الحياة فلترينَّ الظَّعينة ترتحل من الحيرة حتَّى تطوف بالكعبة لا تخاف إلَّا الله، ولتُفتحنَّ كُنوز كسرى، ولترينَّ[3] الرَّجل يُخرج ملء كفِّه من ذهبٍ أو فضَّةٍ فلا يجد أحداً يقبلها منه، وليلقيَّن[4] اللهَ أحدُكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه ترجمان يترجم له، فليقولنَّ: ألم أبعث إليك رسولاً؟ فيقول: بلى. فيقول: ألم أُعطك مالاً وأُفضل عليك؟ فيقول: بلى. فينظر عن يمينه فلا يرى إلَّا جهنَّم، وينظر عن يساره فلا يرى إلَّا جهنَّم، فاتَّقوا النَّار ولو بشقِّ تمرةٍ، فمن لم يجد فبكلمةٍ طيِّبةٍ. قال عَدِيٌّ: فرأيْت الظَّعينة ترتحل من الحيرة حتَّى تكون بالكعبة؛ لا تخاف إلَّا الله،**

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة: (فيقصم).
(٢) أخرجه مُسلمٌ في «صحيحه» [كتاب صفة القيامة والجنَّة والنَّار/ باب قوله: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [سورة العلق: الآيتان ٦، ٧] ـ الحديث رقم (٢٧٩٧) ـ ٤/ ٢١٥٤] من حديث أبي هُريرة رضي الله عنه.
(٣) في النُّسخة الخطِّيَّة: (وليرينَّ).
(٤) في النُّسخة الخطِّيَّة: (ولتلقينَّ).

وكُنتُ فيمن افتتح كُنوز كسرى بن هُرمز»[1].

وقال لأصحابه: «**والله؛ ليُتِمَّنَّ هذا الأمر حتَّى يسير الرَّاكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلَّا الله؛ والذِّئب على غنمه، ولكنَّكُم تستعجلون**»[2].

وقال ﷺ يوم بدرٍ: «**هذا مصرع فُلانٍ؛ ووضع يده على الأرض: ههنا؛ وههنا، فما ماط أحدهُم عن موضع يد رسول الله ﷺ**»[3].

وانكسرت ساق عبد الله بن عتيكٍ؛ فقال له: «**ابسط رجلك، فمسحها. قال: فكأنِّي لم أشكها قطُّ**»[4].

وعرضت لهُم يوم الخندق كُدية ـ وهي الحجر الذي لا يتحفَّر ـ، فقام وبطنه معصوبٌ بحجر من الجُوع، فضربه بالمِعْوَل؛ فعاد كثيباً أَهْيَلَ.

---

(١) أخرجه البُخاريُّ في «صحيحه» [كتاب المناقب/ باب علامات النُّبوَّة في الإسلام ـ الحديث رقم (٣٥٩٥) ـ ٣/ ١١١٠].

(٢) أخرجه البُخاريُّ في «صحيحه» [كتاب المناقب/ باب علامات النُّبوَّة في الإسلام ـ الحديث رقم (٣٦١٢) ـ ٣/ ١١١٤] من حديث خبَّاب بن الأرتِّ رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مُسلمٌ في «صحيحه» [كتاب الجهاد والسِّير/ باب غزوة بدرٍ ـ الحديث رقم (١٧٧٩) ـ ٣/ ١٤٠٣ ـ ١٤٠٤] من حديث أنس بن مالكٍ رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البُخاريُّ في «صحيحه» [كتاب المغازي/ باب قتل أبي رافع عبد الله بن أبي الحُقَيْق ـ الحديث رقم (٤٠٤٠) ـ ٣/ ١٢٣٢].

وعطشوا مرَّة أُخرى في غزاةٍ، فذهبوا يطلبون الماء، فوجدوا امرأة بين مزادتيْن، فاستنزلوها عن بعيرها، ودعا النَّبيُّ ﷺ بإناءٍ، فأفرغ فيه من أفواه المزادتيْن، ونُودي في النَّاس: اسقوا؛ اسقوا. قال: فشربنا عِطاشاً أربعين رجلاً حتَّى روِيْنا، وملأنا كُلَّ قِرْبَة معنا وإداوة، والله؛ لقد أُقلع عنها، وإنَّه ليتخيَّل إلينا أنَّها أشدُّ ملاءة منها حين ابتدأنا، ثُمَّ جمعوا للمرأة من تمرٍ وسويقٍ ودقيقٍ، وقال لها ﷺ: «**اذهبي، فإنَّا لم نأخذ من مائك شيئاً، ولكنَّ الله الذي سقانا**»(١).

وارتدَّ رجلٌ كان يكتب الوحي ولحق بالشِّرك، فقال النَّبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم: «**إنَّ الأرض لا تقبله، فأتى أبو طلحة الأرضَ التي مات فيها فوجده منبوذاً، فقال: ما شأن هذا؟ فقالوا: دفنَّاه مراراً؛ فلم تقبله الأرض**»(٢).

---

(١) «صحيح البُخاريِّ» [كتاب التَّيمُّم/ باب الصَّعيد الطَّيِّب وُضُوء المُسلم يكفيه من الماء ـ الحديث رقم (٣٤٤) ـ ١/ ١٢٨ ـ ١٢٩]، «صحيح مُسلمٍ» [كتاب المساجد ومواضع الصَّلاة/ باب قضاء الصَّلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها ـ الحديث رقم (٦٨٢) ـ ١/ ٤٧٤ ـ ٤٧٦] من حديث عمران بن حُصينٍ رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه أحمد في «مُسنده» [الحديث رقم (١٢٢١٥) ـ ١٩/ ٢٤٧ ـ ٢٤٨] من حديث أنس بن مالكٍ رضي الله عنه، وأخرجه البُخاريُّ في «صحيحه» [كتاب المناقب/ باب علامات النُّبوَّة في الإسلام ـ الحديث رقم (٣٦١٧) ـ ٣/ ١١١٥ ـ ١١١٦] بلفظٍ نحوه.

وقَدِمَ ﷺ من سفرٍ، فلمَّا قرب من منزله هاجت ريحٌ، فكاد أن تدفن[1] الرَّاكب، فقال النَّبيُّ ﷺ: «**بُعثت هذه الرِّيح لموت مُنافقٍ**». فإذا عظيمٌ من المُنافقين قد مات[2].

وكانت امرأةٌ تهدي لهُم سمناً[3] في عكَّةٍ، فيأتيها بنوها فيسألوها الأُدْم وليس عندهم شيءٌ، فتعمد إلى تلك الغلَّة، فتجد فيها سمناً، فما زال يُقيم لها أُدْم بيتها حتَّى عصرتها، فقال ﷺ: «**لو تركتها ما زال قائماً**»[4].

وأصاب النَّاسَ مجاعةٌ في غزاة تبوكٍ، فقال عُمر: «**يا رسول الله؛ ادعُهُم بفضل أزوادهم، ثُمَّ ادع الله لهُم عليها بالبركة. فبُسِطَ نِطَعٌ حتَّى اجتمع عليه من أزوادهم شيءٌ يسيرٌ، فدعا رسول الله ﷺ بالبركة، ثُمَّ قال: خُذُوا في أوعيتكُم. فما تركوا في العسكر وعاء إلَّا ملؤوه، وأكلوا حتَّى شبعوا، وفضلت فضلةٌ، فقال رسول الله ﷺ: أشهد أن لا إله إلَّا الله، وأنِّي رسول الله، لا يلقى الله بهما عبدٌ غير شاكٍّ**

---

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة: (تدق).

(٢) أخرجه مُسلمٌ في «صحيحه» [كتاب صفات المُنافقين وأحكامهم/ الحديث رقم (٢٧٨٢) ـ ٤/ ٢١٤٥ ـ ٢١٤٦] من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٣) في النُّسخة الخطِّيَّة: (سمنٌ).

(٤) أخرجه مُسلمٌ في «صحيحه» [كتاب الفضائل/ باب في مُعجزات النَّبيِّ ﷺ ـ الحديث رقم (٢٢٨٠) ـ ٤/ ١٧٨٤] من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

فيُحجب عن الجنَّة»[1].

وسمَّت امرأةٌ من يهود خيبرَ شاة مصليَّة وأهدتها إليه، فأخذ الذِّراع فأكل منها ومعه رهطه، فقال: «**ارفعوا أيديكُم، وأرسل إلى اليهوديَّة فقال: سمَّيْت هذه الشَّاة؟ فقالت: من أخبرك؟ فقال: أخبرتني هذه ـ يعني الذِّراع ـ. فقالت: نعم**»[2].

وأتاه أبو هُريرة بتمراتٍ فقال: «**يا رسول الله؛ ادع الله فيهنَّ بالبركة. فضمَّهُنَّ ودعا، فقال: خُذهُنَّ واجعلهُنَّ في مزودك، كُلَّما أردت أن تأخذ منه شيئاً فأدخل يدك فيه؛ ولا تنثره نثراً**[3]. **قال: فقد حملت من ذلك التَّمر كذا وكذا من وسقٍ في سبيل الله، فكُنَّا نَأْكُل ونُطْعِم، وكان لا يُفارق حقوي؛ حتَّى كان يوم قتل عُثمان، فانقطع**»[4].

ودعا النَّصارى إلى المُباهلة فامتنعوا، وأخبرهُم أنَّهم إن فعلوا هلكُوا، فعلموا صحَّة قوله فامتنعوا.

---

(١) أخرجه مُسلمٌ في «صحيحه» [كتاب الإيمان/ باب الدَّليل على أنَّ من مات على التَّوحيد دخل الجنَّة قطعاً ـ الحديث رقم (١٤٨) ـ ١/ ٤٢] من حديث أبي هُريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داود في «سُننه» [كتاب الدِّيات/ باب فيمن سقى رجلاً سُمًّا أو أطعمه فمات أيُقَاد منه ـ الحديث رقم (٤٥١٠) ـ ص٦٧٥] من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٣) في النُّسخة الخطِّيَّة: (تنشره نشراً).

(٤) أخرجه أحمد في «مُسنده» [الحديث رقم (٨٦١٣) ـ ٢/ ٣٥٢]، والتِّرمذيُّ في «سُننه» [كتاب المناقب/ باب مناقب أبي هُريرة رضي الله عنه ـ الحديث رقم (٣٨٣٩) ـ ص٦٨٥].

وأتاه عامر بن الطُّفَيْل وأربد بن قيسٍ ـ وهُما فارسا العرب وفاتكاها ـ عازميْن على قتله، فحيل بينهُما وبين ذلك، فلمَّا خرجا مات عامرٌ بغُدَّةٍ أصابته، وأصابت لإربد بن قيسٍ صاعقةٌ، وكان قد دعا عليهما فقال: «**اللَّهُمَّ اكفنيهما بما شئت**»[1] أو نحوه.

وأخبر أنَّه يقتل أُبيَّ بن خلفٍ الجُمحيَّ، فخدشه يوم أُحدٍ خدشاً لطيفاً؛ وكانت فيه منيَّته.

وأنذر عليه السَّلام بأنَّ طوائف من أُمَّته يغزون في البحر، فكان كذلك.

وزُويت له الأرض؛ فأُري مشارقها ومغاربها، وأخبر ببُلوغ مُلك أُمَّته ما زُوي له منها، فكان كذلك، وبلغ مُلكُهم من أوَّل الشَّرق من بلاد التُّرك إلى آخر المغرب من بحر الأندلس وبلاد البربر، ولم يتَّسعوا في الجُنوب ولا في الشِّمال كما أخبر عليه السَّلام ـ سواء بسواءٍ ـ.

وأخبر ابنته فاطمة بأنَّها أوَّل أهله لحاقاً[2] به، فكان كذلك.

وأخبر نساءه بأنَّ أطولهُنَّ يداً أسرعهُنَّ لُحُوقاً[3] به، فكانت زينب بن جحشٍ الأسديَّة أطولهُنَّ يداً وأوَّلهُنَّ لُحوقاً به.

---

(١) أخرجه الطَّبرانيُّ في «مُعجمه الكبير» [الحديث رقم (٥٥٩٢) ـ ٥/ ٣٩٥] من حديث سهل بن سعدٍ رضي الله عنه، قال الهيثميُّ في «مجمع الزَّوائد» (٦/ ١١١): (رواه الطَّبرانيُّ وفيه عبد المُهيْمن بن عبَّاسٍ وهُو ضعيفٌ).

(٢) في النُّسخة الخطِّيَّة: (أوَّل لحاقاً).

(٣) في النُّسخة الخطِّيَّة: (لحقاقاً).

ومسح ﷺ ضرع شاةٍ حائلٍ لا لبن لها؛ فدرَّت، فكان ذلك سبب إسلام ابن مسعودٍ، وفعل ذلك مرَّة أُخرى في خيمتيْ أُمِّ معبدٍ، وكان عندها أعنزاً عِجافاً، فقدم زوجها، فوجد عندها لبناً فقال: من أين هذا؟ فأخبرته، ووصفت له رسول الله ﷺ، فقال: هذا فتى قُريشٍ.

وندرت عين بعض أصحابه، فسقطت، فردَّها عليه السَّلام بيده؛ فكانت أصحَّ عينيْه وأحسنها.

وتفل في عين عليٍّ وهُو أرمد يوم خيبر؛ فصحَّ من وقته، وبعثه بالرَّاية، وبشَّر أنَّه يفتح الله على يديْه، فكان كذلك.

وحكى الحكم بن أبي العاص مِشْيَتَه ﷺ، فلم يزل يرتعش حتَّى مات.

ورأى بضعة عشر رجلاً فوران الماء من بين أصابعه ﷺ، وهذا أبلغ من انفجار الماء من الحجر.

وشكى إليه قومٌ مُلوحة بئرٍ لهُم وقلَّته، فجاء في جماعةٍ من أصحابه، حتَّى أشرف على بئرهم، فتفل فيها؛ فانفجرت بالماء العذب الزُّلال.

ولمَّا بلغ مُسيلمة الكذَّاب هذا؛ وسُئل مُعجزة مثل هذه؛ فتفل في بئرٍ؛ فغار ماؤه بعد أن كان أُجاجاً، فأكَّد الله صِدْقَ النَّبيِّ وكَذِبَ مُسيلمةَ.

وعن حبيب بن مُدَارك أنَّ أباه خرج إلى رسول الله ﷺ وعيناه

مُبيضَّتان لا يُبصر بهما شيئاً، فنفث[1] رسول الله ﷺ في عينيْه؛ فأبصر، قال الرَّاوي: فرأيته يُدخل المخيط في الإبرة وإنَّه لابن ثمانين، وعيناه مُبيضَّتان.

وانقطع سيف عُكَّاشة بن محصنٍ يوم بدرٍ، فأعطاه النَّبيُّ ﷺ جذْلاً من حطبٍ، فقال: قاتِلْ به. فلمَّا أخذه من يده هزَّه، فإذا سيفٌ في يده طويل القامة، فشهد به المشاهد معه، وقُتل يوم الرِّدَّة وهُو في يده.

ولمَّا فتح الله مكَّة، قصد الأصنام، فأخذ عُوداً وجعل يطعن وُجوهها، ويقول: ﴿جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ﴾[2]، وكُلَّما أشار بيده إلى صنمٍ خرَّ لوجهه من غير أن يمسَّه شيءٌ.

وكان يوماً بالحُجون ـ وهُو كئيبٌ حزينٌ ـ فقال: «**اللَّهُمَّ أرني آية لا أُبالي من يُكذِّبني بعدها**»[3]، ونادى شجرة من قِبَل عَقَبة أهل المدينة؛ فجاءت تشقُّ الأرض حتَّى انتهت إليه، فسلَّمت عليه، ثُمَّ أمرها، فرجعت.

وقدم رجلٌ بإبلٍ إلى مكَّة، فابتاعها منه أبو جهلٍ ومطله أثمانها، فشكا إلى قُريشٍ منه، فأشاروا إلى رسول الله ﷺ ـ استهزاء به ـ،

---

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة: (فتفث).

(٢) سُورة الإسراء: الآية ٨١.

(٣) أخرجه البزَّار في «مُسنده» [الحديث رقم (٣١٠) ـ ١/ ٤٣٨]، وأبو يعلى في «مُسنده» [الحديث رقم (٢١٥) ـ ١/ ١٩٠] من حديث عبد الله بن عُمر بن الخطَّاب رضي الله عنهما، قال الهيثميُّ في «مجمع الزَّوائد» (٨/ ٢٩٢): (رواه البزَّار وأبو يعلى، وإسناد أبي يعلى حسنٌ).

فأقبل الرَّجل إلى رسول الله ﷺ وذكر له ذلك، فقام رسول الله ﷺ حتَّى جاء إلى باب أبي جهلٍ، فضرب عليه الباب، فخرج وقد انتقع لونه، فقال: أعط هذا الرَّجل حقَّه، فدخل وخرج إليه بحقِّه، فقالوا لأبي جهلٍ في ذلك؛ فقال: أما والله؛ ما هُو إلَّا أن ضرب عليَّ بابي وسمعت صوته؛ فمُلئت رُعباً، ثُمَّ خرجت إليه وإنَّ فوقه لفحلاً من الإبل؛ ما رأيت مثل هامته وأنيابه، لفحلاً؛ لو أبيت لأكلني.

ودخل رسول الله ﷺ حائطاً للأنصار وفيه غنمٌ؛ فسجدت له.

والَّذين كسروا رَبَاعيَّته لم يُولد لهُم مولودٌ ونبتت رَباعيَّته.

وكانت رُؤيته من خلفه كرُؤيته من أمامه، وتنام عينه ولا ينام قلبه.

ويسمع أصوات أهل القُبور وأطيط السَّماء.

*** ومن ذلك دُعاؤه المُستجاب في مواطن عدَّة:**

أحدهُا: لمَّا قال: «**اللَّهُمَّ اشْدُدْ وطأتك على مُضر، واجعلها عليهم سنين كسِنِيِّ يُوسف**»[1]. فابتلوا بالجُوع حتَّى أكلوا العِلهز ـ وهُو الدَّم بالوبر ـ.

---

(١) أخرجه البُخاريُّ في «صحيحه» [كتاب الأذان/ باب يهوي بالتَّكبير حين يسجد ـ الحديث رقم (٨٠٤) ـ ١/ ٢٤٥ ـ ٢٤٦]، ومُسلمٌ في «صحيحه» [كتاب المساجد/ باب استحباب القُنوت في جميع الصَّلاة إذا نزلت بالمُسلمين نازلة ـ الحديث رقم (٦٧٥) ـ ١/٤٦٦ ـ ٤٦٧] من حديث أبي هُريرة رضي الله عنه.

والثَّاني: لما قال: «**اللَّهم عليك الملأ من قُريشٍ**»[1]؛ وعدَّ أسماءهم؛ فقُتلوا كُلُّهم يوم بدرٍ.

والثَّالث: لما تلى ﷺ: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ﴾[2]، قال عُتبة بن أبي لهبٍ: كفرت بربِّ النَّجم. وردَّ على رسول الله ﷺ ابنته؛ وآذاه، فقال رسول الله ﷺ: «**اللَّهُمَّ سلِّط عليه كلباً من كلابك**»[3]. فخرج مع أصحابه في عيرٍ إلى بلاد الشَّام، فزأر الأسد؛ فجعلت فرائصه ترعد، فقيل له: ما تخشى؟ فقال: إنَّ مُحمَّداً دعا عليَّ، ولا والله؛ ما أظلَّت السَّماء من ذي لهجةٍ أصدق من مُحمَّدٍ. ثُمَّ وضعوا العشاء، فلم يُدخل يده فيه، حتَّى جاءهم النَّوم؛ فحاطوا أنفسهم بمتاعهم ووسَّطوه بينهُم

---

(١) أخرجه البُخاريُّ في «صحيحه» [كتاب الجزية والمُوادعة/ باب طرح جيف المُشركين في البئر ولا يُؤخذ لهم ثمن ـ الحديث رقم (٣١٨٥) ـ ٢/ ٩٨٣]، ومُسلمٌ في «صحيحه» [كتاب الجهاد والسِّير/ باب ما لقي النَّبيُّ ﷺ من أذى المُشركين والمُنافقين ـ الحديث رقم (١٧٩٤) ـ ٣/ ١٤١٩] من حديث عبد الله بن مسعودٍ رضي الله عنه.

(٢) سُورة النَّجم: الآية ١.

(٣) أخرجه الحاكم في «مُستدركه» [كتاب التَّفسير/ باب تفسير سُورة أبي لهبٍ ـ الحديث رقم (٣٩٨٤) ـ ٢/ ٥٣٩] من حديث أبي عقرب مُعاوية بن خُويلد رضي الله عنه، وجاءت تسميته في حديثه باسم: لهب بن أبي لهبٍ، وجاءت تسميته باسم عتبة بن أبي لهبٍ في حديثٍ أخرجه البيهقيُّ في «سُننه الكبرى» [كتاب الحجِّ/ باب ما للمُحرم قتله من دوابِّ البرِّ في الحلِّ والحرم ـ الحديث رقم (١٠٣٤٦) ـ ٥/ ٢١١]، وابن قانعٍ في «مُعجمه» [الحديث رقم (١١٨٨) ـ ٣/ ٢٠٧].

وناموا، فجاء الأسد، فضغمه ضغمة كانت إيَّاها، وهُو يقول في آخر رمقٍ: ألم أقل إنَّ مُحمَّداً أصدق النَّاس؟

الرَّابع: لما قحط النَّاس؛ قام إليه رجلٌ يوم الجمعة ـ وهُو يخطب ـ، فقال: **«يا رسول الله؛ قحط المدر، واحمرَّ الشَّجر، فادع الله لنا. فرفع يديْه ودعا الله أن يسقيهُم الغيث، وما في السَّماء قزعة سحابٍ، فما استتمَّ دُعاءه، حتَّى نشأت سحابةٌ فأَمْطَرَتْ من الجُمعة إلى الجُمعة، فقام إليه في الجُمعة الأُخرى ذلك الرَّجل أو غيره فقال: يا رسول الله؛ تهدَّمت البيوت؛ وانقطعت السُّبل، فادع الله لنا. فرفع يديْه وقال: اللَّهُمَّ حوالينا ولا علينا؛ فانجاب السَّحاب عن المدينة حتَّى أحدق بها كالإكليل، فضحك النَّبيُّ ﷺ حتَّى بدت نواجذه»**[1].

ومُعجزاته ﷺ أكثر من أن تُحصر في هذا الكتاب، فإنَّ أحواله وشُؤونه إذا تأمَّلها المُتأمِّل يجدها كُلَّها آياتٍ دالَّة على نُبوَّته، وبراهين

---

(١) أخرجه البُخاريُّ في «صحيحه» [كتاب الاستسقاء/ باب الدُّعاء إذا كثر المطر حوالينا ولا علينا ـ الحديث رقم (١٠٢١) ـ ١/ ٣٠٦]، ومُسلمٌ في «صحيحه» [كتاب صلاة الاستسقاء/ باب الدُّعاء في الاستسقاء ـ الحديث رقم (٨٩٧) ـ ٢/ ٦١٢ ـ ٦١٤] من حديث أنس بن مالكٍ رضي الله عنه، دُون قوله: **«فضحك النَّبيُّ ﷺ حتَّى بدت نواجذه»**، وجاءت هذه الزِّيادة في حديثٍ أخرجه الطَّبرانيُّ في «مُعجمه الأوسط» [الحديث رقم (٧٦١٩) ـ ٧/ ٣٢٠]، وكتاب الدُّعاء [باب الدُّعاء في الاستسقاء ـ الحديث رقم (٢١٧٩) ـ ١/ ٥٩٦].

ساطعة قاطعة برسالته، وإنَّما هذه جُملٌ من رُؤوس مُعجزاته، ولم يتَّسع الكتاب لنقلها بكمال مُتونها، ومن أراد ذلك، فليستخرجها بكمالها من كُتب السِّير والمغازي بأسانيدها وطُرقها وكمال مُتونها[1].

والمُراد هٰهنا التَّنبيه عليها لمن وقف عليها من السِّير؛ فتكون تذكرة له وبياناً لما يترتَّب عليها من القواعد الإسلاميَّة، والمعاني السُّلوكيَّة التي تَرْسَخ بها الأديان، وتقوى بها القُلوب، ويتأيَّد بها الإيمان، ويتَّضح بسببها براهين المعرفة والإيقان، والله المُوفِّق لكُلِّ خيرٍ، وإيَّاه نعبد وإيَّاه نستعين.

ثُمَّ لا يزال المُؤمن بتوفيق الله تعالى في إيمانه مُترقِّياً كُلَّ وقتٍ ينكشف له بُرهانٌ من براهينه، ودليلٌ من أدلَّته، وشهابٌ من شُهبه، يحرق بها هواجس الوساوس الشَّيطانيَّة، وكُلَّ حينٍ يجد مصباحاً من مصابيح اليقين يُسْرَج في ظُلمات الشُّكُوك ودياجي الارتياب العماويَّة، حتَّى ترسخ في قلبه قواعدُه وأُصولُه، وتنتشر فُروعه في فضاء سرِّه وغُصونه، فيصير مُؤمناً حقًّا، فالإيمان ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَاۗ﴾[2].

وهُو دينٌ عظيمٌ لا نهاية لأسراره وحقائقه، ولا نفاد[3] لمعانيه

---

(١) انظر في مُعجزات النَّبيِّ ﷺ المُشار إليها وغيرها: «دلائل النُّبوَّة» للفريابيِّ، «تثبيت دلائل النُّبوَّة» للهمذانيِّ، «أعلام النُّبوَّة» للماورديِّ، «دلائل النُّبوَّة» للبيهقيِّ، «دلائل النُّبوَّة» للأصبهانيِّ.

(٢) سُورة إبراهيم: الآيتان ٢٤ ـ ٢٥.

(٣) في النُّسخة الخطِّيَّة: (نفاذ).

ودقائقه، وكُلُّ شخصٍ يتَّضح له منه على قدر ما قُسم له منه واقتضاه استعداده، وانتهى إليه حدَّة فطنته ونُور قلبه واستمداده، ففُهوم عُلومه عزيزةٌ[1]، وأنوار مُشاهدته جمَّةٌ كبيرةٌ، وليس فَهْم عوامٍّ العُلماء من أسرار هذا الدِّين كفَهْم الصُّلحاء منهم، وليس فَهْم الصُّلحاء من عُلمائهم كفَهْم المُوقنين منهم، وليس فَهْم المُوقنين كفَهْم الصِّدِّيقين، الذين هُم ورثة الأنبياء وخُلفاء الرُّسل؛ أهل المعارف الرَّاسخة؛ والمراتب الشَّامخة، ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾[2].

فصلٌ

وليعلم المُؤمن أنَّ هذا الدِّين له ظاهرٌ وباطنٌ، وصوانٌ ولُبابٌ، وأساسٌ وذِروةٌ، فالمُوفَّق من لم يقنع من هذا الدِّين بظاهره حتَّى يتحقَّق بحقائق أسراره وباطنه، ولا يطمئنُّ حين الوُقوف على أساسه حتَّى ينتهي إلى ذِروة عليائه، فأكثر العامَّة إنَّما حُجبوا عن ذلك؛ لأنَّهُم قنعوا من الأشياء بصُورها، ولم تَسْمُ هممهُم إلى ذوق حقائقها وعزيزها[3].

فصلٌ

ومن أراد تحقيق هذا الدِّين، والوُصول إلى ذوق المُحبِّين؛ فعليه في أوَّل الأمر إخلاص النِّيَّة وتصفيتها من الشَّوائب، فإنَّ الأعمال

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة: (عريزة).
(٢) سُورة النُّور: الآية ٤٠.
(٣) في النُّسخة الخطِّيَّة: (وعزيرها).

بالنِّيَّات، ولكُلِّ امرئٍ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله؛ فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دُنيا يُصيبها أو امرأةٍ يتزوَّجها؛ فهجرته إلى ما هاجر إليه.

وقُرَّة العُيون في الانتهاء؛ إنَّما تكون بتصحيح عزائم الابتداء، والتَّخلُّف عن درك الغايات؛ إنَّما يكون بسبب فساد البدايات، فمن صحَّح أُمور بداياته قُصوداً وعُلوماً وأعمالاً؛ سار إلى مطلوبه حميداً، وانحلَّت العوائق من قِبَلِه، ولم يبق إلَّا انتظار ما قُسم له في الزَّمان الذي وُقِّت له، **فهذا حال تصحيح أُمور البداية في القُصود.**

وتحقيقه: أن يقصد رضا الله؛ باتِّباع ما أمر الله، ليلقاه يوم القيامة في الدَّار الآخرة يوم يلقاه بوجهٍ أبيض، فتقرُّ عينه بلقائه، ويحظى منه بالكرامة والتَّقريب والزُّلفى عنده، ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾[١].

ثُمَّ يُراقب هذه النِّيَّة فيُصفِّيها من الشَّوائب القادحة والعوارض الطَّارقة الثَّائرة من عوالم الطَّبيعة والنَّفس؛ المُمازجة لعوالم القلب، فإنَّ العبد مُركَّبٌ منهما، وكُلُّ شطرٍ منهما يميل بطبعه إلى حظِّه، فلا يزال العبد يُصفِّي قصد نصيب قلبه عن حظِّه المُشوَّش من نصيب نفسه؛ حتَّى يصير الحظُّ الأعلى خالصاً عن الحظِّ الأدنى، وبذلك تتمُّ[٢] صحَّة القُصود في المبادئ، ولا حول ولا قُوَّة إلَّا بالله العليِّ العظيم.

---

(١) سُورة القمر: الآية ٥٥.

(٢) في النُّسخة الخطِّيَّة: (تم).

فصلٌ

ثُمَّ عليه حينئذٍ بعد تصحيح القصد وتكميله، بتحصيل العلم ـ الذي هُو لهذا السَّفر كالزَّاد في تبليغه إلى مقصده وتوصيله ـ، وعلى العلم يترتَّب العمل، وعليهما ترتقي مباني العُبوديَّة؛ التي من وصل إليها استقرَّ دينه، وقوي تمكينه، وطلعت عليه شُموس العرفان، وبزغت في سرِّه أقمار الإيقان، فيذهب معه كُلُّ ريبٍ، ويصفو عن كُلِّ دنسٍ وعيبٍ، ويصير الخبر عند معرفته بالمعبود عياناً، ويعود التَّصديق إيقاناً وبُرهاناً.

أوَّل ذلك[١]: الاعتناء بعلم سيرة النَّبيِّ ﷺ، مثل «سيرة ابن هشامٍ»، أو «مغازي مُوسى بن عُقبة»، أو «سيرة الواقديِّ»؛ و«يحيى بن سعيدٍ الأمويِّ»؛ ومُحمَّد بن عايذٍ، وكتاب «دلائل النُّبوَّة» لأبي نُعيم الحافظ الأصبهانيِّ، ولأبي بكرٍ البيهقيِّ، ولأقضى القُضاة الماورديِّ، ولعبد الجبَّار بن أحمد الهمذانيِّ[٢]، ولأبي العبَّاس القُرطبيِّ، وغيرهم.

ومنها كُتب مناقبه وفضائله؛ ككتاب «شرف المُصطفى» لأبي سعيدٍ النَّيسابوريِّ، وكتاب «الشِّفا في تعريف حُقوق المُصطفى» للقاضي عياضٍ، و«الوفا» لأبي الفرج ابن الجوزيِّ، وغيرهم، وغير ذلك من العُلوم المُوضِّحة لدلائل النُّبوَّة ومعالمها، فذلك من أهمِّ العُلوم للطَّالبين.

---

(١) في حاشية النُّسخة الخطِّيَّة: (مطلبٌ: بعض كُتب السِّير ومُؤلِّفيهم).

(٢) في النُّسخة الخطِّيَّة: (الهمداني).

فإنَّ من عجز في زماننا عن لقاء الرَّسول ﷺ والمُهاجرة إليه؛ عدل على سيرته والنَّظر في ابتداء حاله ﷺ، من طُفوليَّته إلى كمال بُلوغه ومنشئه، وكيف ظهرت عليه بوادي الوحي وأعلام النُّبوَّة طوراً طوراً، من حين بدأه[1] الوحي إلى حين مُهاجرته إلى المدينة، وإلى حين أمره الله تعالى بقتال الكُفَّار، وإلى أن ظهر دينه على الأديان، وانتشر بارزاً في السِّر والإعلان، كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾[2].

فبذلك ينكشف للقلب حقائق النُّبوَّة، ويعرف أسرار الرِّسالة، ويعرف النِّسبة بينه ﷺ وبين الأنبياء والرُّسل من قبله، في دُعائهم الكُفَّار إلى عبادة الرَّبِّ القهَّار، ومُعاندتهُم لهُم، وصبر الأنبياء عليهم؛ حتَّى يُفتح عليهم بالنَّصر والظَّفر، وتغلب كلمة الرَّحمن على كلمة الطُّغيان، ومجيء نصر الله والفتح، ويدخل النَّاس في دين الله أفواجاً، خُصوصاً لمن قد عرف النُّبوَّات السَّالفة والشَّرائع السَّابقة، فيتحقَّق القلب أنَّ الله أرسله حقيقة كما أرسل الأنبياء من قبله، ويُوقن القلب أنَّ دينهم واحدٌ وشرائعهم شرائع مُختلفة، ينطقون من عينٍ واحدةٍ، ويسطع نُورهُم من مشكاةٍ واحدةٍ، ويدعون إلى ربٍّ واحدٍ، كما قال النَّجاشيُّ لمَّا سمع القُرآن: «**هذا والذي جاء به**

---

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة: (بدأة).

(٢) سُورة التَّوبة: الآية ٣٣، سُورة الصَّفِّ: الآية ٩.

مُوسى من مشكاةٍ واحدةٍ»[1].

فحينئذٍ يترقَّى القلب إلى عين اليقين بأُمور الدِّين؛ بعد وُجدانه لعلم اليقين، ثُمَّ بعد ذلك يعتني بعلم السُّنن والآثار؛ ليعرف دين هذا النَّبيِّ الكريم وآدابه وسُننه وعاداته في قيامه وقُعوده وأسفاره ومغازيه وعباداته ومُعاملاته ومُعاشرته للأصحاب والأزواج؛ وغير ذلك ممَّا تدلُّ[2] عليه سُننه المُدوَّنة، في مثل الصِّحاح؛ كصحيحي «البُخاريِّ» و«مُسلمٍ»، و«مُوطَّأ مالكٍ»، و«صحيح الإسماعيليِّ»؛ و«البُرقانيِّ»؛ و«أبي حاتم البُستيِّ»؛ و«الحاكم النَّيسابوريِّ»، و«صحيح الجوزقيِّ»، و«صحيح أبي نُعيمٍ الأصبهانيِّ»، و«جامع التِّرمذيِّ»، و«سُنن أبي داود»؛ و«ابن ماجه»، و«شرح السُّنَّة للبغويِّ».

وككُتب المسانيد الكبار؛ كـ«مُسند الإمام أحمد بن حنبلٍ»، و«مُسند إسحاق بن إبراهيم الحنظليِّ»، و«مُسند أبي بكر ابن أبي شيبة»، و«مُسند عبد بن حُميد الكَشِّيِّ»، و«مُسند مُحمَّد بن هارون الرُّوْيانيِّ»، و«مُسند عبد الله بن عبد الرَّحمن الدَّارميِّ»، و«مُسند أبي يعلى الموصليِّ»، و«مُسند أبي داود الطَّيالسيِّ»، و«مُسند مُوسى بن قُرَّة الزَّبيديِّ».

وككُتب المُختصرات من الكُتب؛ كـ«الجمع بين الصَّحيحيْن» للحُميديِّ، و«جامع الأُصول»[3] لابن الأثير الجزريِّ[4]، و«المصابيح»

---

(١) أخرجه أحمد في «مُسنده» [الحديث رقم (١٧٤٠) ـ ٣/ ٢٦٣ ـ ٢٦٨] من حديث أُمِّ سلمة رضي الله عنها.

(٢) في النُّسخة الخطِّيَّة: (يدلُّ).

(٣) في النُّسخة الخطِّيَّة: (للأصول).

(٤) في النُّسخة الخطِّيَّة: (الحرزي).

للبغويِّ، و«أحكام عبد الحقِّ المغربيِّ»؛ و«عبد الغَنِيِّ المقدسيِّ»؛ و«أبي البركات ابن تيميَّة الحرَّانيِّ»؛ و«مُحمَّد بن عبد الواحد المقدسيِّ»، وغير ذلك من كُتب الحديث الموجودة في هذا العصر في آفاق الدُّنيا؛ المحفوظة عند الحُفَّاظ، ليعرف الإنسان مُجمل كمال ما جاء به الرَّسول، فإنَّ ذلك من أهمِّ المُهِّمات.

فكثيرٌ من السَّالكين اختصر لنفسه طريقاً إلى الله تعالى من السُّنَّة قبل الوُقوف على مُجمل ما جاءت به السُّنَّة[1]، فانضمَّ قُصوره في الحال إلى تقصيره في العلم، فانحرف انحرافاً بيِّناً، والمُوفَّق من عرف أوَّلاً كمال ما جاء به الرَّسول، فإن وجد نفسه مُستعدِّة للأُمور العامَّة والخاصَّة؛ قام بما يُمكنه منها. وإن وجد نفسه عاجزاً عن القيام بالأمر العامِّ كما قام به الرَّسول وخُلفاؤه الكُمَّل كأبي بكرٍ وعُمر؛ اختصر حينئذٍ لنفسه من ذلك طريقة يرتقي بها، حيث عجز عن القيام بكمال الدِّين، واشتغل بخاصَّة نفسه، حيث لم يتَّسع لعامَّة الخلق من القيام بأُمور العلم والعمل والجهاد، فإنَّ الرَّسول ﷺ بُعث بكمال العلم، مُكمِّلاً للعمل والحال القلبيِّ، مُجاهداً لأعداء الله تعالى، هذا دينه الذي دلَّت عليه سُنَّته والكتاب العزيز الذي أُنزل عليه.

فاقتسمت الأُمَّة[2] في هذا العصر أثلاثاً[3]، فقومٌ اعتنوا بالعُلوم الظَّاهرة ولم يعتنوا بأعمال القُلوب وأحوالها ـ وهُم غالب فُقهاء

---

(١) في حاشية النُّسخة الخطِّيَّة: (مطلبٌ: في تقصير السَّالك).

(٢) في حاشية النُّسخة الخطِّيَّة: (مطلبٌ: اقتسمت الأُمَّة).

(٣) في النُّسخة الخطِّيَّة: (ثلثاً).

عصرنا ـ، وقومٌ اعتنوا بالأعمال والأحوال ولم يعتنوا بالعُلوم ولا التزام الشَّرائع على الكمال ـ وهُم غالب العُبَّاد والفُقراء ـ، وقومٌ اعتنوا بجهاد الأعداء ولم يعتنوا بالعلم ولا بالعمل مع الحال ـ وهُم الغُزاة ـ، والدِّين المُحمَّديُّ الكامل: هُو الدِّين الجامع لهذه الأقسام.

فعلى العبد أن يعرف أوَّلاً كمال ما جاء به الرَّسول؛ ليعرف ماهيَّة الدِّين وصُورته، فإنْ قدر على إقامته بكماله؛ وإلَّا أخذ منه ما يقدر عليه في طريقٍ خاصَّةٍ له، ومتى تعبَّد[1] قبل معرفته بكمال الدِّين، جذبه الجهل إلى الانحراف عن الدِّين؛ حتَّى يبقى في شِعْبٍ مُنحرفٍ عن شِعْب المُهتدين.

ثُمَّ يقف بعد ذلك على ما يلزمه من علم الفرائض والأحكام، والحلال والحرام، فيُقلِّد فيه المُجتهدين؛ إن عجز عن استنباطه من الحديث ومعالم الدِّين، فيعرف فرائض الوُضوء وسُننه؛ وفرائض الصَّلاة وسُننها؛ وفرائض الزَّكاة؛ وغير ذلك من عُلوم الفُروض الخاصَّة به، فإنَّ كُلَّ واحدٍ يخصُّه من الفُروض ما لا يخصُّ غيره، ويُبتلى بواجباتٍ لا يُبتلى غيره بها، فإنَّ التَّاجر عليه من الواجبات ما ليست على الفقير، ومثله القاضي والوالي ووليُّ الأمر، كُلٌّ يجب عليه أن يتعلَّم علمَ واجباتِ ما يلزمه القيام به، فبذلك يعرف حُدود الله فيه، فيلتزمها ويقوم بها، ومن كان جاهلاً بالحُدود تعدَّاها[2]، ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[3].

---

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة: (يعبَّد).

(٢) في النُّسخة الخطِّيَّة: (يعداها).

(٣) سُورة البقرة: الآية ٢٢٩.

فصلٌ

فإذا صحَّح النِّيَّة في الابتداء؛ وأتقن العلم في التَّوسُّط؛ فعليه حينئذٍ التَّكميل بالعمل.

وأوَّل ذلك: الاعتناء بإمرار السُّنَّة على الظَّاهر والباطن، والتَّمسُّك التَّامُّ بالشَّريعة، والاقتفاء لآثار الرَّسول ﷺ؛ وطلب التَّشبُّه به في دلِّه وسمته وهديه وصيامه وقيامه وتهجُّده وصلاته وقراءته، فيجعله مرَّة[1] بين عينيْه شيخاً له ومُؤدِّباً يراه بعين قلبه؛ ،إن غاب في الظَّاهر عن شخصه، فبذلك يتمُّ الاتِّباع له والاقتداء به.

ومن كان في الدُّنيا مُتَّبعاً له مُقتدياً به قد جعله إماماً بين يديْه، ناظراً إليه في كُلِّ حركةٍ، يُصغي إليه ما يقول فيها فيستعمله؛ فهُو في الدُّنيا معه، وفي الآخرة إن شاء الله تعالى يكون صاحبه، يُحشر تحت لوائه ومنجفه[2]، غير مُنحرفٍ عنه ولا حائدٍ عن مُرافقته.

ومتى جعل السَّالك شيخاً آخر قِبْلَته؛ وصارت له ربَّانية على قلبه تحجبه عن ربَّانيَّة الرَّسول وهيمنته؛ دخل الانحراف عليه قطعاً، علم ذلك من علمه، وجهله من جهله.

ومتى جعل النُّور المُحمَّديَّ إمامه اهتدى، ومن تمسَّك بشريعته وسُنَّته فقد استمسك بالعُروة الوُثقى.

---

(١) أي: أَصَالَة.

(٢) في النُّسخة الخطِّيَّة: (صنجفه)، والنَّجيف: السَّهم العريض النَّصل.

وإنَّما قَصَّر مُتعبِّدوا زمانِنا عن الوُصول إلى الحقائق؛ لامتلاء أسرارهم من شُيوخهم، وربَّانيَّتهم عليها، فحُجبوا بذلك عن ربَّانيَّة الرَّسول، فانحرفوا كثيراً عن طريق الهُدى، وذلك لأنَّهم عجزوا عن استنباط أسرار المعرفة من سُنَّته، ووجدوا الشُّيوخ قد لحظوها، فجعلوا السُّنَّة حُكماً للظَّاهر؛ وعدلوا إلى شُيوخهم في الأسرار والحقائق.

ولو وَقَفُوا لاستنبطوا من سُنَّته الحقائق الكاملة والأسرار الباطنة والمقامات العالية، والله المُوفِّق.

وتمام العمل النُّصح لله فيه، وإتقان كُلِّ أمرٍ دلَّ عليه الاتِّباع، كما ينصح العبد البارُّ النَّاصح لسيِّده، الذي يُحبُّ له ما يُحبُّ لنفسه، فتراه إذا أشار إليه بأمرٍ، أو ندبه إلى حاجةٍ؛ نهض نُهوض النَّاصحين، وبذل جُهده في تحصيل الغرض لسيِّده، فهُو موثوقٌ به أمينٌ، لذلك من طلب التَّحقيق بالمحبَّة والعُبوديَّة والوُصول إلى الأسرار العليَّة؛ ينصح ربَّه تعالى في كُلِّ حقٍّ أمره به أو نهاه عنه.

أوَّل ذلك: إذا دخل وقت الفريضة يعزم على النُّصح لله فيها، فيتوضَّأ كما دلَّت السُّنَّة عليه بلا زيادةٍ ولا نُقصان، ثُمَّ يتقدَّم إلى المحراب بقلبٍ مُعظِّمٍ لله مُحبٍّ له مُشتاقٍ إلى لقائه، فيُكبِّره بالإجلال والتَّعظيم، ويعلم أنَّه عالمٌ به وبمكانه، مُطَّلعٍ على سرِّه وضميره، فيقول: الله أكبر؛ من سُويداء قلبه، حتَّى ينتسخ في التَّكبير عن قلبه سوى عظمة من كبَّره، فذلك هُو النُّصح التَّامُّ في التَّكبير، فمن كبَّر كذلك فقد نصح ربَّه في تكبيره ولم يُقصِّر.

ثُمَّ إذا قال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1]؛ فليحمد الله بقلبه، ويجعل لسانه ترجماناً لما في ضميره بلا مُزاحمةٍ ولا وسواس حائلٍ عن نُطق القلب بمعنى الحمد، ثُمَّ يتكلَّم بكُلِّ معنى من معاني الفاتحة بلسانه مُعبِّراً عمَّا في قلبه بخُضُوعٍ وخُشُوعٍ وحُضُورٍ وابتهالٍ كأنَّه واقفٌ بين يدي ربِّه في عَرْصَة[2] القيامة وهُو يُناجيه ويُخاطبه.

وكذلك يجتهد العبد في الرُّكُوع أن ينصح فيه لله، وصِفَة النُّصح فيه: أن يخضع لله بقلبه كما خضع له ببدنه، فإنَّ صُورة الرُّكوع صُورة التَّواضع، فمتى خلت هذه الصُّورة من معنى وحقيقةٍ؛ كانت خداجاً ناقصة، كالبدن بلا رُوحٍ، وُروحها وحقيقتها خُضوع القلب مُصدِّقاً لما ظهر من خُضوع الجسم.

وكذلك في السُّجود؛ يسجد بقلبه كما يسجد ببدنه.

وفي[3] التَّحيَّات يُناجي ربَّه به بكُلِّ معنى من معانيه، ؛أنَّه يُخاطب به ربَّه وهُو يسمعه ويراه، فبذلك يتمُّ النُّصح لله في الصَّلاة.

ولو فرضنا رجلاً منَّا وقف بين يدي أميرٍ لاستحيا منه أن يُكلِّمه وهُو غير حاضرٍ ولا مُجتمع الهمِّ، بل رُبَّما خاف منه إن رآه على تلك الحالة أن يَهُمَّ به أو يمقته، فكيف بالعبد الذَّليل إذا وقف بين يدي الرَّبِّ الجليل؟

---

(١) سُورة الفاتحة: الآية ٢.

(٢) العَرْصَة: كُلُّ بُقعةٍ واسعةٍ بين الدُّور ليس فيها بناءٌ.

(٣) في النُّسخة الخطِّيَّة: (وهي).

والتَّرقِّي إلى حقائق الإيمان وذِروته إنَّما يكون بالنُّصح لله في اتِّباع أوامره واجتناب مناهيه، فعوامُّ الخلق قصَّروا عن ذلك؛ لأنَّهُم يُعاملون ربَّهم بالظَّواهر ولا ينصحونه في مُعاملته بالسَّرائر، يقنعون من الأعمال بصُورها، وقُلوبهم خالية عن حقائقها.

ثُمَّ على العبد الطَّالب الرَّاغب في سَنَا التَّقريبات وتُحف المواهب أن يجتهد من حين طُلوع الشَّمس إلى غُروبها، ومن غُروبها إلى طُلوعها على أن لا يعصي ربَّه بجارحةٍ من جوارحه، وهذا هُو حقيقة التَّقوى والتَّوبة، ولا يتمُّ ذلك إلَّا برعاية الجوارح السَّبع؛ التي هي العين والأُذن واللِّسان والبطن والفرج واليد والرِّجل، فيصون هذه الجوارح عن كُلِّ حركةٍ نُهي عنها أو كُرِه له فعلها.

فيحفظ العين عن النَّظر إلى النِّساء والصِّبيان، فالصَّبيُّ الجميل في الحُكم كالمرأة، فكما حرم النَّظر إلى المرأة فكذلك الصَّبيُّ، ويحفظ اللِّسان من الغيبة والنَّميمة وقول الزُّور وما لا يحلُّ، ويحفظ السَّمع عن الاستماع إلى الفواحش، فإنَّ المُستمع شريك القائل، ويحفظ البطن عن أكل الحرام وأموال الظَّلمة وما لا يملك من الغُصوب وغيرها، وكذلك يحفظ الفرج عن الحرام، واليديْن والقدميْن أن يُحرِّكهُما أو يسعى بهما إلى ما حرَّمه الله تعالى، وعن جميع المكروهات، فمن لم يُجانب المكروهات قد يقع في المحظورات[١]، فالمكروهات سياجٌ، من تعدَّاها[٢] جاوز إلى الحمى، قال الله تعالى:

---

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة: (المحضورات).

(٢) في النُّسخة الخطِّيَّة: (يعداها).

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ﴾[1].

قدَّم غضَّ البصر على حفظ الفرج، فمن ضيَّع بصره ـ وهي معصيةٌ يُمكن تلافيها بالتَّوبة عن قريبٍ ـ خيف عليه أن يقع في المعصية الكُبرى ـ التي لا يُمكن تلافيها إلَّا بالجَهْد الجَهِيد ـ، ومن لم يحفظ هذه الجوارح لم يستقم له قلبٌ؛ ولم ينمو له عملٌ، ولا بُدَّ من مُحاسبة النَّفس على كُلِّ حركةٍ من حركات الجوارح، حتَّى تبقى الجوارح في أقوالها وأعمالها محفوظة مضبوطة، وبذلك يخفُّ الحساب على العبد في الآخرة، فإنَّما خفَّ الحساب على قومٍ حاسبوا نُفُوسهم في الدُّنيا.

ومن حاسب نفسه في الدُّنيا واستغفر الله عند كُلِّ زللٍ يصدر منه[2]؛ مُحِيَ عنه بذلك ذنبه ـ إن شاء الله تعالى ـ.

فالعبد ولو تحفَّظ مهما تحفَّظ لا بُدَّ من الذَّنب، فمن محاه بالتَّوبة: فإنَّه يتنوَّر قلبه، ويُشرق سرُّه، ويُفتح على قلبه باب علم النِّيَّة؛ ومُعاملة الله تعالى بالإخلاص، فيتفقَّد حركاته وسكناته؛ وكُلَّ حركةٍ أو عملٍ خلا من نيَّةٍ صالحةٍ لا يتحرَّك فيها.

والنِّيَّة الصَّالحة: إمَّا أن يطلب بذلك العمل ثواب الله، أو يحصل له منه مصلحةٌ دُنيويَّةٌ يتمُّ له فيها معاشه، وما عدا هذيْن الأمريْن فهُو فُضولٌ لا فائدة فيه.

---

(١) سُورة النُّور: الآية ٣٠.

(٢) في حاشية النُّسخة الخطِّيَّة: (مطلبٌ: في فائدة الاستغفار).

ومن ترقَّى[1] إلى علم النِّيَّة والإخلاص؛ ارتقى من أُمور العالم إلى أعمال المُوقنين، ودخل في أعمال أهل اليقين، وبهذا يتمُّ النُّصح لله؛ لأنَّ من التزم هذا يُطالب نفسه بالنُّصح لله في مُعاملاته وعباداته، يجب أن لا يتخلَّف عن ندبٍ ندبه إليه ربُّه إليه، أو حقٍّ أوجبه عليه، ثُمَّ لا يرضى من نفسه أن يقوم بصُورته دُون أن يُعامل ربَّه بمعناه وحقيقته، فبذلك تتمُّ العُبوديَّة.

ومن ذلك: تصحيح أُمور الصَّلاة ـ كما مرَّ أولاً ـ، ومُحاسبة النَّفس ـ كما مرَّ ثانياً ـ، والأمر بالمعروف والنَّهي عن المُنكر ـ على حسب الاستطاعة ـ، والتَّخلُّص من كُلِّ حقٍّ وجب لله عليه، مثل صلاةٍ فاتت، أو زكاةٍ فاتت، أو صومٍ أو نذرٍ وجب، فلا يزال العبد يقضي ما فاته من ذلك حتَّى يتبرَّأ فيما بينه وبين الله، وتبقى مظالم العباد فيأخذ في التَّخلُّص منها، فيقضي ما في ذمَّته من دَيْنٍ أو وديعةٍ أو حقٍّ من مالٍ أو عِرْضٍ حتَّى تبرأ ذمَّته فيما بينه وبين الخلق؛ كما برئت فيما بينه وبين الله، فإنَّه في الآخرة واقفٌ بين يدي الله ومسؤولٌ عن ذلك كُلِّه، وهذا من أسباب الاستعداد للقاء الله، فمن أيقن بأمرٍ استعدَّ له واستعان بالله في ذلك كُلِّه، ولا حول ولا قُوَّة إلَّا بالله العليِّ العظيم.

قال الله تعالى في شأن الصَّلاة: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾[2].

---

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة: (ترقي).

(٢) سُورة المُؤمنون: الآيتان ١ ـ ٢.

وقال في شأن المُحاسبة: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[1]. وقال تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[2]. وقال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ﴾[3].

والأخبار والآيات في ذلك كثيرةٌ لمن تدبَّرها[4] وعرفها، والحمد لله ربِّ العالمين.

فصلٌ

فإذا وفَّق الله العبد لتصحيح النِّيَّة في القُصُود، وتحصيل العُلوم النَّافعة لمُعاملة المعبود، واستعمال الجوارح بالمأمورات، وذبِّها عن المُخالفات؛ استقام العبد على سواء السَّبيل، ولا يتمُّ ذلك إلَّا بالاستعانة بالله تعالى والصَّبر؛ لتعتاد الجوارح على التَّلبُّس بها، حتَّى يبقى الصِّدق والعلم والعمل طبيعة راسخة وهيئة ثابتة، بمثابة العادات التي لا يجد العبد لها تكلُّفاً، بل يتألَّم إذا فاته شيءٌ منها، إذا جاء وقت العبادة يجد باعثاً يجذبه إليها، فحينئذٍ يكتسي العبد كُسوة الإيمان حقيقة: ظاهراً وباطناً، علماً وعملاً، ومتى صار بهذه المثابة؛ فقد آن أوان الزُّهور، التي هي مبادئ الثَّمرات، فيظهر على الأشجار ما أودع الله فيها، ففي النَّاس من يسبق زَهْرُه ورقَ شجرته وأُولئك المجذوبون، الذين يظهر عليهم اللَّوائح ومبادئ الحقائق في أوَّل

(١) سُورة الإسراء: الآية ٣٦.

(٢) سُورة ق: الآية ١٨.

(٣) سُورة النُّور: الآية ٣٠.

(٤) في النُّسخة الخطِّيَّة: (يدبرها).

السُّلوك، وأمَّا الغالب منهم فلا تظهر[١] زهرتهم إلَّا بعد إتمام أحوال شجرتهم؛ من إكمال أحوال العلم والعمل.

وليعلم العبد أنَّ أساس سلامة الثَّمرات الخالية من الفساد هُو صحَّة الاعتقاد، وإتقان مسائله وأُصوله، وهُو معرفة ما يجب له سُبحانه وتعالى من الصِّفات العليَّة، وما يستحيل في حقِّه من الصِّفات الخَلْقيَّة.

وليعتمد أخذ ذلك من مذهب أهل السُّنَّة والجماعة[٢]، كأحمد والشَّافعيِّ ومالكٍ وسُفيان الثَّوريِّ والأوزاعيِّ وابن المُبارك وإسحاق بن راهويه والفُضيل، وأمثالهم وأقرانهم ونُظرائهم أهل الحديث والأثر، فإنَّ النَّاس في هذه الأزمنة لبُعد العهد بالنُّبوَّة ـ حيث إنَّ لها سبعمائة سنة ـ قد مزجوا بالشَّريعة الخالصة عُلُوماً أخذوها من كُتب الفلاسفة الأوائل؛ كالمنطق والكلام وغيره من عُلوم الحُكماء، فصارت عقائدهم ممزوجة بما ليس من الدِّين، مغشوشة؛ كالدِّرهم المغشوش يعرف النُّقَّاد مقدار الفضَّة فيه من النُّحاس؛ وذلك لأنَّهم خلطوا بالدِّين ما ليس منه، ولم يقنعهم ما بعث الله به مُحمَّداً ﷺ من الشَّريعة النَّاسخة لغيرها، فركنوا في عقائدهم إلى مُجرَّد عُقولهم ومقاييسها، فزاغوا بذلك عن محض الإيمان.

---

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة: (يظهر).

(٢) في حاشية النُّسخة الخطِّيَّة: (مطلبٌ: كأحمد رحمه الله).

والسَّلف الأوَّلون[1] اعتمدوا على الإيمان المُوافق للعُقُول الصَّحيحة، واستندوا إلى النُّصوص الواردة عن الله تعالى في كتابه وعلى لسان نبيِّه ﷺ في معارف الرَّبِّ وصفاته، فإنَّ الله سُبحانه أعلم بصفاته؛ وكذلك الرَّسول ﷺ أعلم النَّاس بصفات ربِّه، وهُو الواصف لربِّه بما وصف به نفسه في كتابه.

فهل يسع المُؤمن أن يعدل عن ذلك في صفات ربِّه إلى ما يقتضيه عقله وفهمه القاصر؟ فعلمنا بذلك أنَّ الدِّين قد خُلط فيه من الآراء والأهواء ما ليس منه.

وقد منَّ الله على المُسلمين في هذا الزَّمان بظُهُور شيخنا وإمامنا: شيخ الإسلام، ومصباح الظَّلام، تقيِّ الدِّين أبي العبَّاس أحمد بن تيميَّة أمتع الله الكافَّة ببقائه، بأن أوضح للأُمَّة منهاجها[2] الأوَّل في دينها وعقائدها، وبيَّن لهُم دينهُم الذي ارتضاه الله لهُم، وهُو الدِّين العتيق الخالص عن الشَّوب؛ الصَّافي عن الكدر، القريب العهد بالنُّزُول من السَّماء، وله أعاد الله من بركته: عقيدةٌ تُسمَّى الواسطيَّة، فيها جُمل العقائد الإسلاميَّة والإيمانيَّة، وهي كافيةٌ للمُسترشد في الابتداء، ويُرجى أن تتفصَّل مُجملاتها في الأثناء، ويظهر لقلبه إن شاء الله في منازل السُّلوك أنوارها بأكمل الوُضوح والانجلاء، ويُرجى إن شاء الله بعد ذلك أن تصير العقيدة التَّصديقيَّة لقلبه مشهداً يراها بعين اليقين، ثُمَّ يصير له مقعداً ومقاماً من الوُصُول والتَّمكين.

---

(١) في حاشية النُّسخة الخطِّيَّة: (مطلبٌ: في أصحاب الاعتقادات الصَّحيحة والفاسدة).

(٢) في النُّسخة الخطِّيَّة: (منهاجاً).

فصلٌ

وليعلم أنَّ أهمَّ مسألةٍ في الاعتقاد[1] الإيمان بمسألة العرش وتحقيقها ـ علماً وتصديقاً ـ؛ لأنَّها أصلٌ من أُصول السَّالكين، السَّائرين إلى طريق قُرب ربِّ العالمين، لا يستقيم أمرهُم إلَّا بها، ولا ينفذون إلى ربِّهم إلَّا بمعرفتها وتحقيقها، وهي مبدأ المعارف الإلهيَّة، والأذواق الوجديَّة، هي نُقطة أمرهم، ومركز دائرتهم، عليها تنشأ قواعدهم.

وأكثر من انحرف عن التَّحقيق فلجهله بها، فمُعظم النَّاس ليست لقُلوبهم قِبْلَة يتوجَّهُون إليها؛ لكونهم لا يتحقَّقون أنَّ ربَّهُم فوق كُلِّ شيءٍ بفوقيَّةٍ تختصُّ به، وعُلُوٍّ يليق به؛ لا كالصِّفات اللائقة بالمخلوقين، فهُم لا يفهمون من الفوقيَّة والعُلُوِّ إلَّا الفوقيَّة اللائقة بهم، ولم تستنر[2] أذهانهم إلى أنَّ صفات الرَّبِّ تعالى من عُلُوِّه وفوقيَّته واستوائه ليست كصفات الحَدَث، كما أنَّ سمعه ليس كأسماعهم، وبصره ليس كأبصارهم، وعلمه ليس كعلمهم، فإنَّها أعراضٌ قامت بحَدَثٍ.

وصفات الرَّبِّ تعالى: هي صفاتٌ قائمةٌ به قديمةٌ تليق بجلاله وتختصُّ به، لا تُشبَّه بصفات خلقه، كما أنَّ ذاته المُقدَّسة لا تُشبَّه بذوات خلقه، إذا عُلِمَ هذا وتحقَّق في السَّمع والبصر والعلم وغيره؛ فكذلك في العُلُوِّ والاستواء والفوقيَّة بلا فرقٍ؛ إذ الكُلُّ صفاتٌ

---

(١) في حاشية النُّسخة الخطِّيَّة: (مطلبٌ: في أهمِّ مسألةٍ في الاعتقاد).
(٢) في النُّسخة الخطِّيَّة: (تستر).

لموصوفٍ واحدٍ.

فهؤلاء الضَّالُّون: هُم في صفاته المُقدَّسة حائرون، ففيهم من يقول: إنَّه لا داخل العالم ولا خارجه، ولا فوقه ولا تحته؛ لأنَّ الدُّخول والخُروج من صفات التَّحديد والحَدَث؛ والرَّبُّ تعالى مُنزَّهٌ عن ذلك. ومنهم من يقول: إنَّه في كُلِّ مكانٍ بذاته، والقولان مُتقابلان مُنحرفان.

والتَّحقيق: أنَّ الرَّبَّ تعالى فوق كُلِّ شيٍ بفوقيَّةٍ تليق بكمال عظمة الرُّبُوبيَّة؛ مُختصَّةٍ بجلال الإلهيَّة، كما أخبر سُبحانه وتعالى عن نفسه، فقال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[١]. وقوله: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ﴾[٢]. وقوله: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾[٣]. وقوله: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾[٤]. وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ﴾[٥]. وقوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾[٦]. وقوله: ﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾[٧]. وقوله: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ﴾[٨]. وقوله حكاية عن فرعون: ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ

---

(١) سُورة طه: الآية ٥.
(٢) سُورة النَّحل: الآية ٥٠.
(٣) سُورة فاطر: الآية ١٠.
(٤) سُورة الأعلى: الآية ١.
(٥) سُورة الأنعام: الآيتان ١٨؛ ٦١.
(٦) سُورة المُلك: الآية ١٦.
(٧) سُورة آل عمران: الآية ٥٥.
(٨) سُورة النِّساء: الآية ١٥٨.

﴿يَـٰهَـٰمَـٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَـٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَـٰبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَـٰذِبًا﴾[(١)]. وهذا يدلُّ على أنَّ موسى صلَّى الله على نبيِّنا وعليه أخبره أنَّ إلٰهه فوق السَّماوات، ولذلك قال فرعون عن موسى: ﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَـٰذِبًا﴾.

فمجموع هذه الآيات، وبمعراج النَّبيِّ ﷺ من سماءٍ إلى سماءٍ إلى أن أوحى الله إليه ما أوحى، وبقوله ﷺ للجارية: **«أين الله؟ فقالت: في السَّماء. فقال: من أنا؟ فقالت: أنت رسول الله»**[(٢)]. فأقرَّها على ذلك، ولم يُنكر عليها بقولها: في السَّماء.

فبمجموع[(٣)] هذه الأدلَّة: علم العارفون بأنَّ ربَّهُم تعالى فوقهم؛ وفوق كُلِّ مخلوقٍ، فوق عرشه؛ وفوق سبع سماواته، مُتنزِّهٌ عن الدُّخول في خلقه، ووُجوده بائنٌ عن وُجود خلقه، والعرش العظيم لا يُقلِّه ولا يحمله ولا يُحيط به، بل هُو حامل العرش؛ وحامل حملة العرش.

وهُو سُبحانه في عُلُوِّه وفوقيَّته مع عباده، يعلم سرَّهُم ونجواهُم[(٤)]، ومُتقلَّبهُم ومثواهُم، فهُو قريبٌ في عُلُوِّه، عالٍ في دُنُوِّه، ومع كُلِّ شيءٍ بمعيَّةٍ هي صفته، وبحيطةٍ هي نعته، تعالى الله عُلُوًّا كبيراً.

---

(١) سُورة غافر: الآيتان ٣٦ ـ ٣٧.

(٢) أخرجه مُسلمٌ في «صحيحه» [كتاب المساجد ومواضع الصَّلاة/ باب تحريم الكلام في الصَّلاة ونسخ ما كان من إباحته ـ الحديث رقم (٥٣٧) ـ ١/ ٣٨١ ـ ٣٨٢] من حديث مُعاوية بن الحكم السُّلميِّ رضي الله عنه.

(٣) في النسخة الخطِّيَّة: (فمجموع).

(٤) في النُّسخة الخطِّيَّة: (ونجويهم).

ومن لم يعتقد حُكم المسألة؛ ولم يُؤمن بفوقيَّته سُبحانه ومعيَّته؛ لم يصل قلبه إلى حقيقة الأمر؛ لأنَّ مبدأ الحقائق وُجودها في النَّفس ـ المُعْتَقَد ـ علماً قطعيًّا، واعتقاداً تصديقيًّا، ثُمَّ تعود تلك العقائد بعينها فيصير للقُلُوب مشاهدٌ، ثُمَّ تصير[1] المشاهد مقاماتٍ للقُلوب ومقاعد، فإذا كانت العقائد فاسدة؛ كانت المشاهد وهميَّة فاسدة.

ومن عرف أنَّ ربَّه فوق كُلِّ شيءٍ؛ صار لقلبه قِبْلَة في توجُّهه ودُعائه ومطلبه، كما أنَّ المُصلِّي قِبْلَته في صلاته الكعبة، إليها يتوجَّه، ونحوها ينحو، فإذا أيقن بذلك؛ يصير العرش المجيد قِبْلَة قلبه في إرادته وتوجُّهه، فإذا تحقَّق بذلك يغيب قلبه عن العرش لاستيلاء الحقيقة عليه وامتلائه به، فيصير القلب عرشاً للمثل الأعلى، كما قال تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[2].

فهُو سُبحانه له المثل الأعلى في السَّماوات والأرض؛ وفي قُلوب المُؤمنين، وذلك بتوفيق الله تعالى وفضله، يمنُّ به على من يشاء من عباده.

فصلٌ

وأكمل أسباب الاستعداد لهذا الشَّأن امتلاء القلب بحُبِّ الرَّسول ﷺ؛ بحيث يجعله السَّالكُ إمامَه ومتبوعَه في كُلِّ شيءٍ، يراه بعين قلبه، ويُصغي إلى أوامره عند حركاته وسكناته ـ كما مرَّ أولاً ـ،

---

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة: (يصير).
(٢) سُورة الرُّوم: الآية ٢٧.

ولا يمتلئ من مخلوقٍ آخر غير هذه الواسطة، فمن وفَّقه الله تعالى لذلك؛ اعتدلت هيئة قلبه؛ واستعدَّت لتجلِّي الحقائق عليها على أكمل الوُجوه وأتمِّ الأُمور.

والسِّرُّ في ذلك؛ لأنَّ الرَّبَّ تعالى إنَّما تعرَّف إلى هذه الأُمَّة من جهته، وتجلَّى عليهم بكلامه، فمن استقام قلبه على مُقارنة سُنَّته ومحبَّته؛ استعدَّ للتَّحقُّق بالحقائق على ما هي عليه، ومن امتلأ من شيخٍ غيره أو أُستاذٍ سواه[1] ـ بحيث حجبه عن ربَّانيَّته ـ؛ قد تتجلى له الحقائق مُنحرفة أو ناقصة؛ لبُعده عن الواسطة القريب المُقابل له بالعُبوديَّة من كُلِّ الوُجوه.

فليفهم العبد هذا السِّرَّ فإنَّه كنزٌ من الكُنوز لمن أراد التَّحقُّق بالأسرار ولم تقنعه[2] الأُمور الظَّاهرة.

فإذا رُزق العبد ذلك؛ ترقَّى[3] بتوفيق الله تعالى إلى فهم التَّنزيل؛ وهي الرِّسالة التي بُعث بها هذا الرَّسول ﷺ، وهذا أوَّل مفتاح من مفاتيح المعرفة والوُصول، عرف ذلك من عرفه، وجهله من جهله.

ومتى ذاق العبد شمَّة من ذوق القُرآن المجيد؛ يسكن فيه من شدَّة ما يستجلبه، ولا يصبر عن مُداومة تلاوته وتدبُّره وحُسن الاستماع

---

(١) في حاشية النُّسخة الخطِّيَّة: (مطلبٌ: في لُزوم زيادة محبَّته فوق محبَّة شيخه وأُستاذه).

(٢) في النُّسخة الخطِّيَّة: (يقنعه).

(٣) في النُّسخة الخطِّيَّة: (يترقى).

إليه، خُصوصاً إذا ذاق القلب مع الفهم تَعَرُّف صفات المُتكلِّم من الكلام، وهذا أوَّل الأسرار لمن عقله وفهمه، فإنَّه سُبحانه يتكَّلم تارة بكلامٍ رحيمٍ لطيفٍ بعباده، وتارة يُخاطبنا بكلامِ جبَّارٍ قاهرٍ مُنتقمٍ من أعدائه، وتارة يُخاطبنا بكلام مَلِكٍ مُقتدرٍ يُدبِّر الأمر ويفعل ما يشاء، وتارة بكلامِ عظيمِ جليلٍ ذي مهابةٍ وعزَّةٍ، كُلُّ ذلك لنعرفه بمعاني صفاته، ونُقابل كُلَّ صفةٍ بمُقتضاها من العُبوديَّة والخُضوع.

فمثال الرَّحمة واللُّطف: قوله تعالى: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[1].

فانظر ما الذي تدلُّ عليه هذه الآية من معاني صفات الرَّحمة واللُّطف؟

ومثال الثَّاني: قوله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾[2].

فانظر ما الذي تدلُّ عليه هذه الآية من معاني صفات الجبروت والقهر والانتقام من مُخالفيه وأعدائه؟

ومثال الثَّالث: قوله تعالى: ﴿رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَاۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَۖ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّىۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ الآية[3].

---

(١) سُورة الزُّمر: الآية ٥٣.

(٢) سُورة الحاقَّة: الآيات ٣٠ ـ ٣٢.

(٣) سُورة الرَّعد: الآية ٢.

فانظر ما الذي تدلُّ عليه هذه الآية من معاني صفات المُلك والرُّبوبيَّة والاقتدار؟ وأمثال ذلك.

فمتى حقَّق القلب هذه المشاهد وذاق حلاوتها؛ ترقَّى من الإيمان إلى اليقين والعرفان، خُصوصاً لمن قد عرف السِّيرة والسُّنَّة ومرَّ عليها، وعرف معاني التَّنزيل وأسباب النُّزُول من كُتُب التَّفسير، فمنها ما هُو مرويٌّ بالإسناد؛ كـ«تفسير مُحمَّد بن جريرٍ الطَّبريِّ»، و«تفسير»: «ابن شاهين»، و«بقيِّ بن مخلد الأندلسيِّ»، و«عبد الرَّحمن بن إبراهيم» ـ دُحيم ـ، وغيرها.

ومنها ما هُو محذوف الإسناد ـ وهي كثيرةٌ جداً ـ، كـ«معالم التَّنزيل» للبغويِّ، و«زاد المسير» لأبي الفرج ابن الجوزيِّ، وغيرها.

فإنَّ القُرآن المجيد نزل على وقائع السِّيرة وأحوال الصَّحابة رضي الله عنهُم، فيبقى العبد حينئذٍ كأنَّه مُشاهِدٌ لهُم ولأُمورهم، حاضرٌ معهُم في مغازيهم ومَشَاهِدِهم، يراهُم بعيْن قلبه، ويودُّ لو كان معهُم، ويذوق حينئذٍ بمشيئة الله ما ذاقوه من الاهتمام بتعظيم الرَّبِّ تعالى في أوامره ونواهيه؛ لأنَّه يشهد الرَّبَّ تعالى يُخاطبهُم على لسان نبيِّه بكلامه على أحكام أحوالهم ووقائعهم، فيجتمع له في هذا المقام المعارف كُلُّها، معرفة الرَّبِّ العظيم الجليل الذي هُو فوق عباده، والفهم عنه في كلماته وآياته، وحُسن الاستماع والإصغاء إلى أوامره ومواعظه وزجره، ووعده ووعيده، وتخويفه وتحذيره وترغيبه، وغير ذلك من معاني تنزيله.

ويجتمع له مع ذلك معرفة الرَّسول ﷺ بأخلاقه وشمائله وآدابه، ويستمع إلى مُخاطبة الرَّبِّ تعالى له في كلامه بأحسن أسمائه، في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾[1]، و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾[2]، و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾[3]، و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾[4].

وغير ذلك من لطائف مُخاطبة الإله لنبيِّه ومحبوبه ومُصْطَنَعه ﷺ، ويجمع له مع ذلك معرفة السَّابقين الأوَّلين من الصَّحابة المُستجيبين لله وللرَّسول حين دعاهُم؛ المُسارعين إلى امتثال أوامره؛ العارفين بمُراده منهُم في أمره لهُم؛ القائمين بحقِّه وأوامره.

وإذا رزق الله العبد هذه المشاهد العالية في الإيمان بالذَّوق القلبيِّ؛ والعرفان الوجديِّ: فذلك من تمام النِّعمة، كما قال الله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾[5].

---

(١) سُورة الأنفال: الآيات ٦٤؛ ٦٥؛ ٧٠، سُورة التَّوبة: الآية ٧٣، سُورة الأحزاب: الآيات ١؛ ٢٨؛ ٤٥؛ ٥٠؛ ٥٩، سُورة المُمتحنة: الآية ١٢، سُورة الطَّلاق: الآية ١، سُورة التَّحريم: الآيتان ١؛ ٩.

(٢) سُورة المائدة: الآيتان ٤١؛ ٦٧.

(٣) سُورة المُزمِّل: الآية ١.

(٤) سُورة المُدَّثِّر: الآية ١.

(٥) سُورة الأنعام: الآية ١٢٢.

فصلٌ

وليعلم العبد أنَّه إذا دخل في هذا المنزل، فقد ولج في ملكوت السَّماوات، وفارق أهل الأرض من أكثر الوُجوه، ودخل في عوالم الآخرة، **فقلبه عند ربِّه في الدَّار الآخرة، وجسده بين أهل الأرض في الدُّنيا**، وليس للعارف وقفةٌ، فإنَّ معرفته تتزايد على ممرِّ اللَّيالي والأيَّام، والشُّهور والأعوام إذا استعمل الموادَّ المُقويَّة لإيمانه، وقلَّل الموادَّ المُقويَّة لطبعه وجُثمانه.

وقد جعل الله في الكون موادًّا تقوِّي الإيمان والمعرفة، وجُنوداً تُقوِّي موادَّ النَّفس والهوى والشَّيطان، والطَّاعات والقُرُبات والعُلوم والعُلماء والأولياء والصَّالحون؛ جُنُودٌ وموادٌّ تقوى[1] بها القُلُوب والمعارف، والدُّنيا والشَّهوات والغفلات وقُرناء السُّوء، جُنودٌ وموادٌّ تقوى بها النَّفس والشَّيطان.

فليعلم العبد أنَّ هذه المعارف لا تسكن إلَّا في القُلُوب الطَّاهرة والأبدان المُرتاضة الزَّكيَّة المُسْتَعْمَلة في مراضي الله من الأعمال الصَّالحة، ولا تسكن في قلبٍ مُلوَّثٍ بالشَّهوات، محشوٍّ بمحبَّة العُلُوِّ والاستتباع والرِّئاسات، ولا قلبٍ مُعلَّقٍ بشيءٍ من العوالم السُّفليَّات، إلَّا في قلبٍ صادقٍ يطلب قُرب إله السَّماوات.

فكثيرٌ من النَّاس يكون مُسْتَعْمِلاً للتَّقوى والمُحاسبة وسياسة النَّفس بالآداب الشَّرعيَّة؛ وقلبه مُعلَّقٌ بشيءٍ من الكون، فيتحجَّب

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة: (يقوى).

بذلك الشَّيء عن هذه الأنوار والمعارف[1]؛ لأنَّ الشَّيء إذا كان له على القلب سلطنةٌ وربَّانيَّةٌ؛ فإنَّه يمنع وُصُول سلطنة الحقِّ وربَّانيَّته إلى القُلُوب.

وأكثر المحجوبين[2] عن هذه الحقائق؛ لهذه الموانع، وذلك مثل حُبِّ رئاسةٍ أو مالٍ أو جاهٍ أو زوجةٍ أو مملوكٍ أو مُعاشرة أصحابٍ أو غير ذلك من الأسباب التي يتعلَّق بها سرُّه ويسكن إليها قلبه، فلا يكمل إقباله على ربِّه ولا طلبه له، فيُحجب عنه بذلك. فمن حُرم الوُصُول من الطَّالبين؛ فليتَّهم نفسه، وليتطهَّر من الأدناس، ولينفكَّ من العلائق التي لا ضرورة له إليها، وأمَّا ما إليه ضرورةٌ في معيشةٍ وإقامةِ صورةٍ واستغناءٍ عن النَّاس؛ فذلك من جُملة الدِّين، لا يتمُّ الدِّين إلَّا به، ولا يُشتغل ولا يُحجب إذا اقتصد الإنسان فيه، ولم يُضيِّع جميع وقته فيه.

فصلٌ

ولا بُدَّ لطالب الحقائق الذَّوقيَّات مع قطع العلائق من وقتٍ يخلو فيه بربِّه، ويجمع همَّه على صفا ذكره؛ ليتوحَّد قصده ويصفو قلبه، فإنَّ الحقائق كالعروس الجميلة المُفْتِنَة بحُسنها، المُمتنعة على خُطَّابها، تطلب عاشقاً صادقاً في حُبِّها، يبذل في طلبها مُهجته، وتحلو[3] عنده

---

(١) في حاشية النُّسخة الخطِّيَّة: (مطلبٌ: في مُجدٍّ وقلبه مُعلَّقٌ بشيءٍ من الدُّنيا).

(٢) في النُّسخة الخطِّيَّة: (المحجوبون).

(٣) في النُّسخة الخطِّيَّة: (تخلو).

في حُصول وصالها المرارات، وتهون عليه فيه المشقَّات، كما قيل: من عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل.

ومن عرف هذا المعنى تحقَّق أنَّ هذا السِّرَّ لا يُفتح غالباً إلَّا على القُلُوب الطَّاهرة، والهمم المُحترقة المُتخلِّية عمَّا سوى مطلوبها بالقانون الشَّرعيِّ المُحمَّديِّ لا بالتَّجريد النَّصرانيِّ، ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾(١).

فمن طلب الحقائق المُحمَّديَّة لم يزغ عن طريقها، فإنَّ الحقائق المُحمَّديَّة لا تكمل في حقِّ سالكي العيسويَّة.

وكُلُّ شيءٍ له قانونٌ وطريقةٌ، وطرفان ووسطٌ، وخير الأُمور أوساطها بلا غُلُوٍّ ولا انحراف، فالصَّوم الدَّائم والسَّهر الدَّائم وترك الأسباب التي بها يقوم الوُجود بالكُلِّيَّة، كُلُّ ذلك غير مشروعٍ، يصوم قصداً ويقوم قصداً؛ ويقطع قلبه عن الرُّكون إلى الأسبابِ لا إلى المُسبِّب.

ومن خالف هذا المنهج وارتكب أعمالاً شاقَّة غير مشروعةٍ لم يجد لها ثمرة، وأوهنت بدنه وأضعفته في آخر الأمر، وأورثته أحوالاً مُنحرفة ممزوجة بحدَّةٍ وسُوء خُلُق، عرف ذلك من عرفه، وجهله من جهله.

ومتى اقتصر على الأمر المشروع المُحمَّديِّ؛ اجتمعت همَّته وتوفَّرت قُوَّته على القيام بما أُمر، والانبعاث إلى ما يطلب، واستعمل

---

(١) سُورة المائدة: الآية ٤٨.

العبد ما يحلو[1] لقلبه من العبادات المشروعة والأذكار المندوبة، وليُواظب على ما يحلو[2] لقلبه من ذكر الله، فمتى حلا لقلبه شيءٌ[3] من الأذكار يُرجى أن يُفتح له فيه.

فصلٌ

وليتوخَّى الأوقات الفاضلة؛ مثل الثُّلث الأخير من اللَّيل، ويوم الجُمعة عند اجتماع النَّاس إلى انقضاء الصَّلاة، ويوم عرفة، وأوقات الصَّلوات الخمس، فإنَّ فيها تنزل الأنصبة على الطَّالبين، وتلوح البوارق على قُلوب المُشتاقين والمُحبِّين، وهي القُلوب المُتفرِّغة عن كُلِّ همٍّ سوى همِّ مطلوبها، الخالية عن كُلِّ ربَّانيَّة سوى ربَّانيَّة الحقِّ وأوامره، فلا يزال العبد كذلك مُسْتَعْمِلاً للأعمال المشروحة في صدر هذه الرِّسالة بحسب إمكانه ومبلغ استطاعته، ومن بذل جُهده لم يَنْحَلَّ[4] حتَّى يفتح الله عليه بمشهد معرفة صفة الإلهيَّة التي ينكشف في نُورها فهم الكتاب، ويظهر فيه نُور الرَّسول ومعرفته ومعرفة أصحابه، ويرتبط القلب بمحبَّته ومحبَّة أصحابه في نُور معرفة المُتجلِّي علينا بواسطتهم.

فمتى فتح الله على القلب هذا المشهد؛ جاء الخير وانفتح الباب[5] وانجلى الظَّلام واحتدَّت الأفهام وانجذبت القُلُوب، فقد يظهر

---

(١) في النُّسخة الخطِّيَّة: (يجلو).

(٢) في النُّسخة الخطِّيَّة: (يجلو).

(٣) في النُّسخة الخطِّيَّة: (شيئاً).

(٤) أي: ينقطع.

(٥) في النُّسخة الخطِّيَّة: (والباب).

للقُلُوب من مشاهد معرفة الإلهيَّة بوارق تلوح للقُلُوب أحياناً ولا تدوم، بمثابة البُروق اللَّوامع، فليُلازم حاله ولا يستبطئ عودها، فإنَّ المواهب على قدر الاستعداد، فقد لا يكون في هذا الآن مُستعدًّا لكمال الأمر، فتلوح له البارقة في السَّنة يوماً، وفي الشَّهر يوماً، وفي الأُسبوع مرَّة، ثُمَّ تتقارب حتَّى تبقى كُلَّ يومٍ مرَّة، ثُمَّ متى قصدها وجدها، ثُمَّ يترقَّى إلى أن يكتسي القلب بملابس نُور القُرب من صبغة العظمة الإلهيَّة ونُور المثل الأعلى، ويذوق القلب حينئذٍ الهيمان بالجلال والجمال والعظمة والكبرياء، وهذه أنوار القُرْب لخُصوص هذه الأُمَّة المُحمَّديَّة؛ صلوات الله على المبعوث بهذا الدِّين الذي هذا نتائجُه وثمراته، وصلَّى على إخوانه من النَّبيِّين والمُرسلين.

وعلامة صاحب هذا المقام ـ وهُو مقام مشهد الإلهيَّة المفتوح على العبد من فهم القُرآن المجيد ـ: أن يأله قلبه محبَّة الإله الذي ظهر للقلب نُوره، وتعرَّف إليه بما شاء، كيف شاء، بلا تمثيلٍ ولا تكييفٍ، فيعكف حينئذٍ على صفاء ذكره وخالص وُدِّه، ويعيش بقيَّة عُمره في ظلِّ كنفه، مغموساً مغموراً في أبحر أنوار قُربه، ولذيذ ذوق محبَّته، ويهيج من قلبه بواعث الاشتياق إلى مُعاينته، فيعكف عليه ويأنس ويطمئنُّ إليه، ويثق به ويتوكَّل عليه، ويستغني به وبوُجُوده؛ لأنَّه قد عرفه، وكيف لا يستغني به من عرفه؟

وقد قيل[1]:

حبيبٌ جفوت النَّاس لمَّا عرفته ... كأنَّهُم ما جفَّ من زاد قادمِ

وعاد سُرُوري لا يفي بندامتي ... على ما مضى من عُمري المُتقادمِ

فالإنسان يستغني بمعرفة مَلِكٍ من مُلُوك الدُّنيا؛ حيث صار له إليه طريقاً، وله به معرفة، فكيف لا يكون ذلك لمَلِك المُلُوك؛ الذي تعرَّف إليه فعرفه، وتحبَّب إليه فألهه وأحبَّه.

فصلٌ

ثُمَّ يزيده الله في معرفته؛ فيفتح له معرفة صفة الرُّبُوبيَّة بعد أن عرَّفه مشهد الإلهيَّة، **فإذا ظهر للقلب صفة الرُّبوبيَّة** ـ وهُو انفراد الرَّبِّ تعالى بالتَّدبير والقيُّوميَّة ـ **فلا نَفْع ولا ضَرَّ؛ ولا عطاء ولا مَنْع؛ ولا قِسْط إلَّا بيده، وهُو العليُّ على عرشه، يُدبِّر الأمر**؛ فما من ذرَّةٍ إلَّا وهي في قبضته وتدبيره، فعند ذلك يستسلم العبد له حقيقة الاستسلام، ويُفوِّض إلى ربِّه في المقادير والأحكام، ويتحقَّق بقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾[2] في مشهد الرُّبُوبيَّة، ولسان حاله يقول[3]:

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) سُورة الفاتحة: الآية ٥.

(٣) ذكر ابن المُلقِّن في «طبقات الأولياء» (ص٥١٨) عن داود بن عُمر الكهاري: (صحب تاج الدِّين بن عطاء الله، وشرح حزب البحر، فكان يتمثَّل بقوله:

لقد ظهرت فلا تخفى على أحدٍ ... إلَّا على أكمه لا يعرف القمرا

ثُمَّ استترت عن الأبصار يا صمدُ ... كيف يظهر من بالعزَّة استترا)

لقد ظهرت فما يخفى على أحدٍ ... إلَّا أكمه لا يعرف القمرا

وهذا الرَّمز كافٍ، فإنَّ هذه الحقائق تلطف عن العبارة، وتسمو عن الإشارة، وتُعرف بالذَّوق، فلفظ السُّكَّر لا يُعطي في الفم حلاوة طعم السُّكَّر لذائقه، والله المُوفِّق.

فصلٌ

وفوق ذلك مَزَايِد لأهلها لا تحتمل البيان ولا الشَّرح التَّامَّ، ومضمونها **قُوَّة المعرفة وزيادة المحبَّة والتَّعظيم والابتهاج بالرَّبِّ الكريم وبقُربه ومُلاطفاته، وقبضه وبسطه، وتصرُّفه بما يشاء من الاصطناع والمحبَّة الخاصَّة**؛ وغير ذلك من أحوال أرباب النِّهايات والوُصول.

فمنها: الجمع، وهُو اصطلام الواجد عن شُعوره بوُجوده؛ لقُوَّة استغراقه بموجوده، وعلامة صحَّة هذا الحال: أن يكون محفوظاً في الأوامر والنَّواهي.

وصاحب هذا المقام عند أهل التَّحقيق ناقصٌ لم يكمل، والكاملون هُم أهل البقاء بعد العُبُور على أطوار الفناء، فيكتسبون في بقائهم وُجُوداً غير الوُجود الأوَّل، فإنَّ الوُجُود الأوَّل قام بالنَّفس والهوى، فهذا وُجودٌ قام بنُور الحقِّ تعالى، فهُو وُجُودٌ محفوظٌ، يتولاهُم الله فيه، فلا يحجبهُم عن مشاهدهم شيءٌ، ولا يُفرِّقهُم عن مولاهم شيءٌ، فهُم مُتفرِّقون في الأعمال الشَّرعيَّة، وهُم مجموعون في عين الجمع بوُجُودٍ آخر غير الوُجُود الأوَّل الذي ذهب بالفناء، ولصاحب هذه الأحوال سُلُوكٌ خاصٌّ يختصُّ به، يُطالب هُو به دُون

غيره من السَّالكين على حسب مقامه، فإنَّ له ذُنُوباً ليست في حقِّ غيره ذُنُوبٌ، كما قيل في ذُنُوب صاحب الفناء:

.... وُجُودك ذنبٌ لا يُقاس به ذنبٌ[1]

فهُو أبداً يعمل على التَّخلُّص من وُجُوده والطَّهارة منه، والنَّفس بطبعها تُدخله في أسبابٍ تُعيد عليه وُجوده، وهُو مُطالبٌ بإفنائه حتَّى يُرقِّيه الله تعالى إلى مقام البقاء، فيُعيد عليه وُجُوداً محفوظاً مُطهَّراً يتولاه فيه ولا يكله إلى نفسه، فيصير حينئذٍ في مقام البقاء، بالله يسمع، وبالله يُبصر، وبه ينطق، كما جاء في الحديث[2].

وهذا غاية ما تُشير[3] إليه العبارة؛ ،تُظهره الإشارة، ولهُم مع ذلك مَزَايِد من فضل الله من التَّقرُّبات في اليقظة والمنام والإذن

---

(١) ذكر ابن العماد في «شذرات الذَّهب» (٢/ ٢٢٩) عن الجُنيد قوله: (ما انتفعت بشيءٍ انتفاعي بأبياتٍ سمعتها). ثُمَّ ذكر من جُملتها:
(وإن قُلتَ ما أذنبتُ قالت مُجيبة وُجودك ذنبٌ لا يُقاس به ذنبُ)

(٢) أخرجه البُخاريُّ في «صحيحه» [كتاب الرِّقاق/ باب التَّواضع ـ الحديث رقم (٦٥٠٢) ـ ٤/ ٢٠٣٩] من حديث أبي هُريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله قال: من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب، وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيءٍ أحبَّ إليَّ ممَّا افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنَّوافل حتَّى أُحبَّه، فإذا أحببتُه كُنتُ سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يُبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأُعطينَّه، ولئن استعاذني لأُعيذنَّه، وما تردَّدت عن شيءٍ أنا فاعله تردُّدي عن نفس المُؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته».

(٣) في النُّسخة الخطِّيَّة: (يشير).

الخاصِّ لهم، إذا نابهُم شيءٌ يُنزلونه بالله؛ فيُعرِّفهُم الحقُّ مُراده منهم بتعريفٍ خاصٍّ يُطابق الكتاب والسُّنَّة ولا يُخالفه، ومتى خالفه؛ لم يُعتدَّ به.

فالكتاب والسُّنَّة يحكمان على كُلِّ شيءٍ من أُمور الظَّاهر والباطن، من البدايات إلى النِّهايات، فلا خُروج عنه في وجهٍ من الوُجوه، وهذا مقام الصِّدِّيقين من المُحمَّدين الكاملين(١)، الذين كمَّلوا سُلُوك دينهم، ووصلُوا إلى حقائقه، وارتقوا إلى ذِروة سنامه.

وقد نظم بعضهُم في ذلك أبياتاً(٢)؛ يُشير إلى البدايات والنِّهايات:

مَنْ كَانَ فِي ظُلَمِ اللَّيالِي سَارِياً ... رَصَدَ النُّجُومَ وَأَوْقَدَ المِصْبَاحَا
حَتَّى إذَا مَا البَدْرُ أَرْشَدَ ضَوْؤُهُ ... تَرَكَ النُّجُومَ وَرَاقَبَ الإصْبَاحَا
حَتَّى إذَا انْجَابَ الظَّلامُ بِأَسْرِهِ ... وَرَأَى الصَّبَاحَ بِأُفْقِهِ قَدْ لاحَا
تَرَكَ المَسَارِجَ وَالكَوَاكِبَ كُلَّهَا ... وَالبَدْرَ وَارْتَقَبَ السَّنَا الوَضَّاحَا

والأمر كما قال، فإنَّ المُبتدي في ظُلمات الطَّبيعة يرصد نُجوم العلم، ويُوقد مصباح الاتِّباع حتَّى يبدو لقلبه قمر التَّوحيد، وهُو مشهد الإلهيَّة المذكور أوَّلاً، فحينئذٍ يُراقب طُلُوع الصُّبح ليزداد علماً بوُضُوح

---

(١) في حاشية النُّسخة الخطِّيَّة: (مطلبٌ: وهذا مقام الصِّدِّيقين).

(٢) ذكرها تلميذه ابن قيِّم الجوزيَّة في «كشف الغطاء عن حُكم سماع الغناء» (ص٧٨) دون نسبتها لقائلها، وعزاها ابن ناصر الدِّين في «توضيح المُشتبه» (٣/ ١٦٦ ـ ١٦٧) إلى المُؤلِّف: ابن شيخ الحزَّاميِّين.

طريقه لذهاب ظُلُماته، فلا يلبث حتَّى يطلع عليه الفجر، فلا يزال حتَّى يكمل طُلُوع فجره وتفنى ظُلمات طبعه ووُجُوده، ولهذا قال القائل:

.... **وُجُودك ذنبٌ لا يُقاس به ذنبٌ**

فالوُجُود وطُلُوع فجر اليقين ضدَّان، ثُمَّ إذا تكامل صُبحه وتحقَّق بفنائه؛ ارتقب طُلُوع الشَّمس؛ وهُو حال البقاء، فإنَّ الشَّمس إذا طلعت؛ أَمِنَ المُسافر من اللُّصُوص وذهبت كُلُّ ظُلمةٍ، وصار في ضوء النَّهار حقيقة، كما قال القائل(١):

ليلي بوجهك مُشرقٌ ... وظلامه في النَّاس ساري

النَّاس في سدف الظَّلا ... م ونحن في ضوء النَّهار

فصلٌ

وجميع ما شُرح من الأنوار والمعارف وأحوال الفناء والبقاء: هي مَثَلٌ يقوم بقُلُوبهم من أمثلة العظمة، كما قال تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾(٢).

فقد يجد من ذلك شيئاً بعض الجاهلين، فيتوهَّم أنَّ الحقيقة قد خالطت قلبه أو مازجته أو امتلأ وُجُوده منها، تعالى الله أن يحلَّ في شيءٍ، أو أن يحلَّ فيه شيءٌ، لكن عظمتُه باشرت قُلُوبَهُم؛ وامتلأت منها مفاصلُهُم، كما قال ﷺ: **«أسألك إيماناً يُباشر قلبي»**(٣).

---

(١) انظر: «الرِّسالة القُشيريَّة» (ص٧٦؛ ٣٧٨).

(٢) سُورة الرُّوم: الآية ٢٧.

(٣) أخرجه البزَّار في «مُسنده» [الحديث رقم (٥٣٨٥) ـ ١٢/١٧ ـ ١٨] من حديث عبد الله بن عُمر بن الخطَّاب رضي الله عنهما في اختصام الملأ =

ويـجـدون فـي أنـوار ذلـك مُـلاطـفـاتٍ وتـقـريـبـاتٍ ومُـؤانـسـاتٍ ومُحادثاتٍ من ربِّهم.

وليس حال هؤلاء الصِّدِّيقين كحال هؤلاء الضَّالِّين القائلين بوحدة الوُجُود[1]؛ كابن سبعين، وكابن عربيٍّ، وكالصَّدر القُونَوِي، وكابن هُودٍ، وأتباعهم وأشياعهم، طهَّر الله الأرض من آثارهم؛ فإنَّهُم ضُلالٌ؛ يزعمون أنَّ الوُجُود وُجُودٌ واحدٌ، فلا يُثبتون للخلق وُجُوداً أصلاً، بل يقولون: إنَّ وُجُودهُم هُو عين وُجُود الحقِّ! فعندهُم أنَّه ليس مع الحقِّ شيءٌ، فكُلُّ شيءٍ ظهر في الكون فهُو الحقُّ المُطلق، ظهر في تلك الصُّورة المُعيَّنة.

ولكُلِّ واحدٍ من هؤلاء مذهبٌ في وحدة الوُجُود يختصُّ به، فابن سبعين يقول: الحقُّ يظهر في الماء بلونه، وفي النَّار بلونها.

والصَّدر القُونَوِي يُثبت الكون والمراتب، ويقول: الحقُّ وُجُودٌ مُطلقٌ غير مُتعيِّنٍ، والكون مظهرٌ له. ويعني: أنَّه الوُجُود السَّاري في كُلِّ شيءٍ.

وإشارة ابن عربي؛ يقول: كانت الأشياء ثابتة في عدمها، ففاض وُجُود الحقِّ عليها.

وابن هُودٍ يسري مسرى ابن سبعين ونحوه، مع اختلافهم.

= الأعلى، قال الهيثميُّ في «مجمع الزَّوائد» (٧/ ٩٥): (رواه البزَّار، وفيه سعيد بن سنانٍ وهُو ضعيفٌ، وقد وثَّقه بعضهم، ولم يُلتفت إليه في ذلك).

(١) في حاشية النُّسخة الخطِّيَّة: (مطلب: القائلين بوحدة الوُجُود).

والعفيف التِّلمسانيُّ وأتباعه يقولون: إنَّ نسبة الكون من الحقِّ كنسبة الموج من البحر، فعين الموجة هي عين البحر.

وأصل هذا الضَّلال من قبيل أنَّهُم لا يعتقدون أنَّ الباري تعالى كوَّن الأشياء لا من شيءٍ، كما هُو مذهب أهل السُّنَّة، بل يقولون: لم يُخلق شيءٌ من غيره؛ لأنَّه ليس معه غيرٌ، بل هُو يظهر في مراتب الكثرة بالوحدة، وهُو عندهُم وُجودٌ مُطلقٌ غير مُتعيِّنٍ، وهذا هُو الفَرْق بين مذهبهم ومذهب المُسلمين.

فهؤلاء زنادقة هذه الأُمَّة ومُشركوها، أشركوا الله مع كُلِّ شيءٍ، فهُم أسوأ حالاً من عُبَّاد الأصنام، وأسوأ حالاً من النَّصارى، فإنَّهُم خصَّصُوا هذا المعنى في شخصٍ واحدٍ وهُو المُسيح، وهؤلاء عمَّموا الأمر في كُلِّ موجودٍ؛ حتَّى في الكلب والخنزير والدُّبِّ والقرد والخنافس والعقارب والنَّمل والدِّيدان، فهل ذهب إلى هذا المذهب عاقلٌ؟! يجعل عين وُجُود الكلب والخنزير والقرد عين وُجُود من لا يُسمَّى في هذا الموضع!! تعالى الله عمَّا يقولون عُلُوًّا كبيراً.

فهؤلاء عُبَّاد الوُجُود المُطلق المُشترك بين جميع الخلق، وابن عربي يقول: النَّصارى إنَّما ضلُّوا حيث خصَّصُوا، ولو عمَّمُوا لما ضلُّوا.

فصلٌ

واعتقاد أهل السُّنَّة أنَّ الرَّبَّ تعالى فوق عرشه بائنٌ من خلقه، له وُجُودٌ قديمٌ يختصُّ به، والكون حادثٌ له وُجُود آخر غير وُجُوده سُبحانه، والكون مُفتقرٌ إليه في كُلِّ شيءٍ؛ في إقامته له وتدبيره له،

وهُو سُبحانه كوَّن الوُجُود لا من شيءٍ، ولم يظهر هُو فيه نفسُه، تعالى الله عن ذلك عُلُوًّا كبيراً.

والعبد عبدٌ؛ والرَّبُّ ربٌّ، لا تمتزج الرُّبُوبيَّة بالعباد؛ ولا العباد بالرُّبُوبيَّة، وهؤلاء يعبدون نُفُوسهم، ولا يستوحشون من قولهم: إنَّا الحقُّ.

والصِّدِّيقون يعبدون إلهَهُم من فوق عرشه القريب منهم؛ كُلَّما ازدادوا معرفة به ازدادوا عُبُوديَّة له وتعظيماً وإجلالاً لعزِّ جلاله وسُبُحات وجهه الكريم.

ونسأل الله الكريم أن يُحيينا على الكتاب والسُّنَّة غير مبدِّلين ولا مُغيِّرين؛ ولا مغضوبٍ علينا ولا الضَّالِّين، آمين.

والحمد لله وحده،
وصلَّى الله على سيِّدنا مُحمَّدٍ وآله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً،
وحسبنا الله ونعم الوكيل[1].

❑❑❑

(١) كان الفراغ من تقييد التَّعليق؛ وتمام الختام من هذا التَّحقيق: في مدينة سيدني؛ في استراليا، في يوم الخميس ٢٢ شوَّال ١٤٣٤هـ؛ الموافق ٢٩ أغسطس (آب) ٢٠١٣م، بعد مُقابلة النُّسخة الخطِّيَّة مع الأخ الجليل؛ والشَّيخ النَّبيل: أنس بن عبد الرَّحمن بن عبد الله العقيل؛ حفظه الله تعالى ورعاه، وبارك في جهده ومسعاه.

فهرس المراجع والمصادر العلميَّة

١ ـ **الأعلام**: خير الدِّين الزِّرِكليُّ ـ دار العلم للملايين (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الثَّامنة (١٩٨٩م).

٢ ـ **أعلام النُّبوَّة**: عليُّ بن مُحمَّد الماورديُّ ـ دار الكُتب العلميَّة (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م).

٣ ـ **الإعلام بوفيَّات الأعلام**: مُحمَّد بن أحمد الذَّهبيُّ ـ حقَّقه وعلَّق عليه: رياض عبد الحميد مُراد، عبد الجبَّار زكَّار ـ مطبوعات مركز جُمعة الماجد للثَّقافة والتُّراث بدُبي ـ دار الفكر المُعاصر (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م).

٤ ـ **أعيان العصر وأعوان النَّصر**: خليل بن أيبك الصَّفديُّ ـ تحقيق: مجموعة من المُحقِّقين ـ دار الفكر المُعاصر (بيروت/ لبنان)، دار الفكر (دمشق/ الجُمهوريَّة العربيَّة السُّوريَّة) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م).

٥ ـ **الأنساب**: عبد الكريم بن مُحمَّد السَّمعانيُّ ـ تحقيق: عبد الله عُمر الباروديُّ ـ دار الجنان (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م).

٦ ـ **إيضاح المكنون في الذَّيل على كشف الظُّنون عن أسامي الكُتب والفُنون**: إسماعيل باشا البغداديُّ ـ دار إحياء التُّراث العربيِّ (بيروت/ لبنان).

٧ ـ **البحر الزَّخَّار**: أحمد بن عمرو البزَّار ـ تحقيق: الدُّكتور/ محفوظ الرَّحمن زين الله ـ مكتبة العُلوم والحكم (المدينة المُنوَّرة/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م).

٨ ـ **تاج العروس من جواهر القاموس**: مُحمَّد مُرتضى الحُسينيُّ الزَّبيديُّ ـ تحقيق: مجموعة من المُحقِّقين ـ مطبوعات المجلس الوطنيِّ للثَّقافة والفُنون والآداب (الكُويت/ دولة الكُويت) ـ الطَّبعة الأُولى.

٩ ـ **تاريخ ابن الفُرات**: مُحمَّد بن عبد الرَّحيم بن الفُرات ـ حقَّقه وضبط نصَّه: الدُّكتور/ قسطنطين زُريق، الدُّكتورة/ نجلا عزِّ الدِّين.

١٠ ـ **تاريخ الإسلام ووفيَّات المشاهير الأعلام**: مُحمَّد بن أحمد الذَّهبيُّ ـ تحقيق: الدُّكتور/ عُمر عبد السَّلام تدمري ـ دار الكتاب العربيِّ (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الثَّانية (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م).

١١ ـ **تاريخ التُّراث العربيِّ**: فُؤاد سزكين ـ نقله إلى العربيَّة: الدُّكتور/ محمود فهمي حجازي ـ مطبوعات جامعة الإمام مُحمَّد بن سُعود الإسلاميَّة (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) ـ (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م).

١٢ ـ **تثبيت دلائل النُّبوَّة**: عبد الجبَّار بن أحمد الهمذانيُّ ـ حقَّقه وقدَّم له: الدُّكتور/ عبد الكريم عُثمان ـ دار العربيَّة (بيروت/ لبنان).

١٣ ـ **تذكرة الحُفَّاظ**: مُحمَّد بن أحمد الذَّهبيُّ ـ دار الكُتب العلميَّة (بيروت/ لبنان).

١٤ ـ **التَّذكرة والاعتبار والانتصار للأبرار**: أحمد بن إبراهيم الواسطيُّ المعروف بابن شيخ الحزَّاميِّين ـ تحقيق: الدُّكتور/ عبد الرَّحمن بن عبد الجبَّار الفريوائيِّ ـ دار العاصمة (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) ـ النَّشرة الثَّانية (١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م).

١٥ ـ **تسهيل السَّابلة لمُريد معرفة الحنابلة**: صالح بن عبد العزيز آل عُثيمين البُرَديُّ ـ تحقيق: بكر بن عبد الله أبو زيد ـ مُؤسَّسة الرِّسالة (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م).

١٦ ـ **تفسير القرآن**: عبد الرَّزَّاق بن همَّام الصَّنعانيُّ ـ تحقيق: الدُّكتور/ مُصطفى مُسلم مُحمَّد ـ مكتبة الرُّشد (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م).

١٧ ـ **تهذيب اللُّغة**: مُحمَّد بن أحمد الأزهريُّ ـ تحقيق: مجموعةٌ من المُحقِّقين، تقدَّمهم وقدَّم له: عبد السَّلام مُحمَّد هارون ـ المُؤسَّسة المصريَّة العامَّة للتَّأليف والأنباء والنَّشر، الدَّار المصريَّة للتَّأليف والتَّرجمة (القاهرة/ جُمهورية مصر العربيَّة) ـ (١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م).

١٨ ـ **توضيح المُشتبه**: مُحمَّد بن عبد الله الدِّمشقيُّ المعروف بابن ناصر الدِّين ـ تحقيق: مُحمَّد نعيم العرقسوسيِّ ـ مُؤسَّسة الرِّسالة (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الثَّانية (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م).

١٩ ـ **جامع البيان عن تأويل آي القُرآن**: مُحمَّد بن جريرٍ الطَّبريُّ ـ دار الفكر (بيروت/لبنان) ـ (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م).

٢٠ ـ **الدُّرُّ المُنضَّد في ذكر أصحاب الإمام أحمد**: عبد الرَّحمن بن مُحمَّد العُليميُّ ـ تحقيق: الدُّكتور/ عبد الرَّحمن بن سُليمان العُثيمين ـ مكتبة التَّوبة (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م).

٢١ ـ **الدُّرر الكامنة في أعيان المائة الثَّامنة**: أحمد بن علي بن حجرٍ العسقلانيُّ.

٢٢ ـ **الدُّعاء**: سُليمان بن أحمد الطَّبرانيُّ ـ دراسة وتحقيق وتخريج: الدُّكتور/ مُحمَّد سعيد البُخاريُّ ـ دار البشائر الإسلاميَّة (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م).

٢٣ ـ **دلائل النُّبوَّة**: إسماعيل بن مُحمَّد الأصبهانيُّ ـ حقَّقه وعلَّق عليه: مُساعد بن سُليمان الرَّاشد الحميد ـ دار العاصمة (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) ـ النَّشرة الأُولى (١٤١٢هـ).

٢٤ ـ **دلائل النُّبوَّة**: جعفر بن مُحمَّد الفريابيُّ ـ إشراف: محمود بن مُحمَّد الحدَّاد ـ تخريج: أُمّ عبد الله بنت محروس العسليِّ ـ دار طيبة (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة).

٢٥ ـ **دلائل النُّبوَّة ومعرفة أحوال صاحب الشَّريعة**: أحمد بن الحُسين البيهقيُّ ـ وثَّق أُصوله وخرَّج حديثه وعلَّق عليه: الدُّكتور/ عبد المُعطي قلعجي ـ دار الكُتب العلميَّة (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م).

٢٦ ـ **الدَّليل الشَّافي على المنهل الصَّافي**: يُوسف بن تغري بردي الأتابكيُّ ـ تحقيق: فهيم مُحمَّد شلتوت ـ مطبوعات مركز البحث العلميِّ وإحياء التُّراث الإسلاميِّ بجامعة أُمِّ القُرى (مكَّة المُكرَّمة/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة).

٢٧ ـ **ذيل العبر**: مُحمَّد بن أحمد الذَّهبيُّ ـ تحقيق: مُحمَّد السَّعيد بن بسيوني زغلول ـ دار الكُتب العلميَّة (بيروت/ لبنان).

٢٨ ـ **ذيل تاريخ الإسلام ووفيَّات المشاهير والأعلام**: مُحمَّد بن أحمد الذَّهبيُّ ـ تحقيق: الدُّكتور/ عُمر عبد السَّلام تدمري ـ دار الكتاب العربيِّ (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م).

٢٩ ـ **الذَّيل على طبقات الحنابلة**: عبد الرَّحمن بن أحمد بن رجب البغداديُّ ـ دار المعرفة (بيروت/ لبنان).

٣٠ ـ **ذيل مرآة الزَّمان**: مُوسى بن مُحمَّد اليُونينيُّ ـ دار الكتاب الإسلاميِّ (القاهرة/ جُمهوريَّة مصر العربيَّة) ـ الطَّبعة الثَّانية (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م).

٣١ ـ **الرَّدُّ الوافر على من زعم بأنَّ من سمَّى ابن تيميَّة شيخ الإسلام كافر**: مُحمَّد بن عبد الله الدِّمشقيُّ المعروف بابن ناصر الدِّين ـ تحقيق: زُهير الشَّاويش ـ المكتب الإسلاميُّ (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الثَّالثة (١٤١١هـ ـ ١٩٩١م).

٣٢ ـ **الرِّسالة القُشريَّة**: عبد الكريم بن هوازن القُشيريُّ ـ تحقيق وإعداد: معروف زُريق، علي عبد الحميد بلطه جي ـ دار الخير (بيروت/ لبنان)، (دمشق/ الجُمهوريَّة العربيَّة السُّوريَّة) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م).

٣٣ ـ **رفع النِّقاب عن تراجم الأصحاب**: إبراهيم بن مُحمَّد بن ضُويَّان ـ تحقيق: عُمر بن غرامة العمرويِّ ـ دار الفكر (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م).

٣٤ ـ **الرَّوض الأُنُف في شرح السِّيرة النَّبويَّة لابن هشام**: عبد الرَّحمن بن عبد الله السُّهيليُّ ـ تحقيق وتعليق وشرح: عبد الرَّحمن الوكيل ـ مكتبة ابن تيميَّة (القاهرة/ جُمهوريَّة مصر العربيَّة)، مكتبة العلم (جدَّة/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م).

٣٥ ـ **الرَّوض المعطار في خبر الأقطار**: مُحمَّد بن عبد المُنعم الحميريُّ ـ تحقيق: الدُّكتور/ إحسان عبَّاس ـ مكتبة لبنان (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الثَّانية (١٩٨٤م).

٣٦ ـ **السِّرُّ المصون، والعلم المخزون، فيه لوائح من المحبَّة وَشُؤون**: أحمد بن إبراهيم الواسطيُّ المعروف بابن شيخ الحزَّاميِّين ـ تحقيق وتعليق: الدُّكتور/ وليد بن مُحمَّد بن عبد الله العليِّ ـ دار البشائر الإسلاميَّة (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م).

٣٧ ـ **سنن ابن ماجه**: مُحمَّد بن يزيد القزوينيُّ المعروف بابن ماجه ـ حكم على أحاديثه وآثاره: مُحمَّد ناصر الدِّين الألبانيُّ ـ اعتنى به: مشهور بن حسن آل سلمان ـ مكتبة المعارف (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) ـ الطَّبعة الأُولى.

٣٨ ـ **سُنن أبي داود**: سُليمان بن الأشعث السِّجستانيُّ ـ حكم على أحاديثه وآثاره: مُحمَّد ناصر الدِّين الألبانيُّ ـ اعتنى به: مشهور بن حسن آل سلمان ـ مكتبة المعارف (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) ـ الطَّبعة الأُولى.

٣٩ ـ **سُنن التِّرمذيِّ**: مُحمَّد بن عيسى التِّرمذيُّ ـ حكم على أحاديثه وآثاره: مُحمَّد ناصر الدِّين الألبانيُّ ـ اعتنى به: مشهور بن حسن آل سلمان ـ مكتبة المعارف (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) ـ الطَّبعة الأُولى.

٤٠ ـ **السُّنن الكُبرى**: أحمد بن الحُسين البيهقيُّ ـ دار المعرفة (بيروت/ لبنان) ـ (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م).

٤١ ـ **سُنن النَّسائيِّ**: أحمد بن شُعيب النَّسائيُّ ـ حكم على أحاديثه وآثاره: مُحمَّد ناصر الدِّين الألبانيُّ ـ اعتنى به: مشهور بن حسن آل سلمان ـ مكتبة المعارف (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) ـ الطَّبعة الأُولى.

٤٢ ـ **السُّنَّة**: أحمد بن عمرو الضَّحَّاك المعروف بابن أبي عاصمٍ ـ حقَّقه وخرَّج أحاديثه: الأُستاذ الدُّكتور/ باسم بن فيصل الجوابرة ـ دار الصُّميعيِّ (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م).

٤٣ ـ **شذرات الذَّهب في أخبار من ذهب**: عبد الحيِّ بن العماد الحنبليُّ ـ دار الكُتب العلميَّة (بيروت/ لبنان).

٤٤ ـ **شرح السُّنَّة**: الحُسين بن مسعودٍ البغويُّ ـ تحقيق: زُهير الشَّاويش؛ شُعيب الأرناؤوط ـ المكتب الإسلاميُّ (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الثَّانية (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م).

٤٥ ـ **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتَّعليل**: مُحمَّد بن أبي بكرٍ الدِّمشقيُّ المعروف بابن قيِّم الجوزيَّة ـ تحقيق: عُمر بن سُليمان الحفيان ـ مكتبة العُبيكان (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م).

٤٦ ـ **صحيح البُخاريِّ**: مُحمَّد بن أحمد البُخاريُّ ـ تحقيق: مُحمَّد علي القُطب ـ المكتبة العصريَّة (بيروت/ لبنان) ـ (١٤١١هـ ـ ١٩٩١م).

٤٧ ـ **صحيح مُسلم**: مُسلم بن الحجَّاج القُشيريُّ ـ حقَّق نُصوصه وصحَّحه ورقَّمه: مُحمَّدٌ فُؤاد عبد الباقي ـ المكتبة الفيصليَّة (مكَّة المُكرَّمة/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة).

٤٨ ـ **الضُّعفاء الكبير**: مُحمَّد بن عمرو العُقَيْلِيُّ ـ حقَّقه ووثَّقه: الدُّكتور/ عبد المُعطي أمين قلعجي ـ دار الكُتب العلميَّة (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الأُولى (٢٠٠٥م).

٤٩ ـ **طبقات الأولياء**: عُمر بن عليٍّ المصريُّ المعروف بابن المُلقِّن ـ تحقيق: نُور الدِّين شريبة ـ مكتبة الخانجي (القاهرة/ جُمهوريَّة مصر العربيَّة) ـ الطَّبعة الثَّانية (١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م).

٥٠ ـ **طبقات الشَّافعيَّة الكُبرى**: عبد الوهاب بن عليٍّ السُّبكيُّ ـ تحقيق: محمود مُحمَّد الطَّناحي؛ عبد الفتَّاح مُحمَّد الحلو ـ دار إحياء الكُتب العربيَّة (القاهرة/ جُمهوريَّة مصر العربيَّة).

٥١ ـ **العُقود الدُّرِّيَّة من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيميَّة**: مُحمَّد بن أحمد بن عبد الهادي الدِّمشقيُّ ـ تحقيق: مُحمَّد حامد الفقي ـ مكتبة المُؤيَّد (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة).

٥٢ ـ **عُلماء الحنابلة من الإمام أحمد المُتوفَّى سنة ٢٤١هـ إلى وفيَّات عام ١٤٢٠هـ رحمهم الله تعالى**: بكر بن عبد الله أبو زيد ـ دار ابن الجوزيِّ (الدَّمَّام/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤٢٢هـ).

٥٣ ـ **العُلماء الذين تحوَّلوا من مذهبٍ إلى آخر وأسباب التَّحوُّل**: بكر بن عبد الله أبو زيد ـ الطَّبعة الأُولى (١٤٠٥هـ).

٥٤ ـ **فتح الباري بشرح صحيح البُخاريِّ**: أحمد بن عليٍّ بن حجرٍ العسقلانيُّ ـ رقَّم كُتبه وأبوابه وأحاديثه: مُحمَّد فُؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وتصحيح تجاربه: مُحبُّ الدِّين الخطيب، راجعه: قُصي مُحبُّ الدِّين الخطيب ـ دار

الرَّيَّان للتُّراث (القاهرة/ جُمهوريَّة مصر العربيَّة) ـ الطَّبعة الثَّانية (١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م).

٥٥ ـ **فهرس مخطوطات دار الكُتب الظَّاهريَّة (قسم التَّصوُّف)**: وضعه: مُحمَّد رياض مالح ـ مطبوعات مجمع اللُّغة العربيَّة (دمشق/ الجُمهوريَّة العربيَّة السُّوريَّة) ـ (١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م).

٥٦ ـ **فوات الوفيَّات والذَّيل عليها**: مُحمَّد بن شاكر الكُتْبِيُّ ـ دار صادر (بيروت/ لبنان).

٥٧ ـ **القاموس المُحيط**: مُحمَّد بن يعقوب الفيروزآبادي ـ مُؤسَّسة الرِّسالة (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الثَّانية (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م).

٥٨ ـ **القلائد الجوهريَّة في تاريخ الصَّالحيَّة**: مُحمَّد بن عليٍّ بن طُولون الصَّالحيُّ ـ تحقيق: مُحمَّد أحمد دهمان ـ مطبوعات مجمع اللُّغة العربيَّة (دمشق/ الجُمهوريَّة العربيَّة السُّوريَّة) ـ الطَّبعة الثَّانية (١٤٠١هـ ـ ١٩٨٠م).

٥٩ ـ **كشف الظُّنون عن أسامي الكُتب والفُنون**: مُصطفى بن عبد الله المعروف بحاجِّي خليفة ـ دار إحياء التُّراث العربيِّ (بيروت/ لبنان).

٦٠ ـ **كشف الغطاء عن حُكم سماع الغناء**: مُحمَّد بن أبي بكرٍ الدِّمشقيُّ المعروف بابن قيِّم الجوزيَّة ـ تحقيق: ربيع بن أحمد خلف ـ دار الجيل (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م).

٦١ ـ **الكشكول**: مُحمَّد بن حُسيْنٍ العامليُّ ـ المطبعة البهيَّة (القاهرة/ جُمهوريَّة مصر العربيَّة) ـ (١٣٠٢هـ).

٦٢ ـ **اللُّباب في تهذيب الأسماء**: مُحمَّد بن مُحمَّدٍ الشَّيبانيُّ المعروف بابن الأثير الجزريِّ ـ دار صادر (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الثَّالثة (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م).

٦٣ ـ **مجمع الزَّوائد ومنبع الفوائد**: عليُّ بن أبي بكرٍ الهيثميُّ ـ دار الكتاب العربيِّ (بيروت/ لبنان).

٦٤ ـ **مدارج السَّالكين بين منازل إيَّاك نعبد وإيَّاك نستعين**: مُحمَّد بن أبي بكرٍ الدِّمشقيُّ المعروف بابن قيِّم الجوزيَّة ـ تحقيق: عبد العزيز بن ناصر الجُلَّيل ـ دار طيبة (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤٢٣هـ).

٦٥ ـ **المدخل المُفصَّل إلى فقه الإمام أحمد بن حنبلٍ وتخريجات الأصحاب**: بكر بن عبد الله أبو زيد ـ دار العاصمة (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م).

٦٦ ـ **مدخل أهل الفقه واللِّسان إلى ميدان المحبَّة والعرفان**: أحمد بن إبراهيم الواسطيُّ المعروف بابن شيخ الحزَّاميِّين ـ تحقيق وتعليق: وليد بن مُحمَّد بن عبد الله العليِّ ـ دار البشائر الإسلاميَّة (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م).

٦٧ ـ **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزَّمان**: عبد الله بن سعد اليافعيُّ ـ دار الكتاب الإسلاميِّ (القاهرة/ جُمهوريَّة مصر العربيَّة) ـ الطَّبعة الثَّانية (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م).

٦٨ ـ **المُستدرك على الصَّحيحين**: مُحمَّد بن عبد الله الحاكم ـ دراسة وتحقيق: مُصطفى عبد القادر عطا ـ دار الكُتب العلميَّة (بيروت/لبنان) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م).

٦٩ ـ **مُسند أبي يعلى الموصليِّ**: أحمد بن عليٍّ المُثنَّى ـ تحقيق وتعليق: إرشاد الحقِّ الأثريِّ ـ دار القبلة للثَّقافة الإسلاميَّة (جدَّة/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة)، مُؤسَّسة عُلوم القُرآن (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م).

٧٠ ـ **مُسند الإمام أحمد بن حنبلٍ**: أحمد بن حنبلٍ الشَّيبانيُّ ـ حقَّقه وخرَّج أحاديثه وعلَّق عليه: مجموعةٌ من المُحقِّقين، بإشراف: شُعيب الأرنؤوط ـ مُؤسَّسة الرِّسالة (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م).

٧١ ـ **مُسند الحُميديِّ**: عبد الله بن الزُّبير الحُميديُّ ـ تحقيق: حبيب الرَّحمن الأعظميِّ ـ عالم الكُتب (بيروت/ لبنان).

٧٢ ـ **المُشتبه في أسماء الرِّجال وأنسابهم**: مُحمَّد بن أحمد الذَّهبيُّ ـ تحقيق: عليُّ بن مُحمَّد البجاوي ـ الدَّار العلميَّة (دلهي/ الهند) ـ الطَّبعة الثَّانية (١٩٨٧م).

٧٣ ـ **المُصنَّف**: عبد الله بن مُحمَّد بن أبي شيبة العبسيُّ ـ حقَّقه وقوَّم نُصوصه وخرَّج أحاديثه: مُحمَّد عوَّامة ـ شركة دار القبلة (جدَّة/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة)؛ مُؤسَّسة عُلوم القُرآن (دمشق/ الجُمهوريَّة العربيَّة السُّوريَّة) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م).

٧٤ ـ **معاهد التَّنصيص في شرح شواهد التَّلخيص**: عبد الرَّحيم بن عبد الرَّحمن العباسيُّ ـ (١٢٧٤هـ).

٧٥ ـ **المُعجم الأوسط**: سُليمان بن أحمد الطَّبرانيُّ ـ تحقيق: الدُّكتور/ محمود الطَّحَّان ـ مكتبة المعارف (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م).

٧٦ ـ **مُعجم البُلدان**: ياقوت بن عبد الله الحمويُّ ـ دار إحياء التُّراث العربيِّ (بيروت/ لبنان) ـ (١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م).

٧٧ ـ **مُعجم الشُّيوخ**: مُحمَّد بن أحمد الذَّهبيُّ ـ تحقيق: الدُّكتور/ مُحمَّد الحبيب الهيلة ـ مكتبة الصِّدِّيق (مكَّة المُكرَّمة/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م).

٧٨ ـ **مُعجم الصَّحابة**: عبد الباقي بن قانع البغداديُّ ـ ضبط نصَّه وعلَّق عليه: صلاح بن سالم المصراتي ـ مكتبة الغُرباء الأثريَّة (المدينة المُنوَّرة/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م).

٧٩ ـ **المُعجم الكبير**: سُليمان بن أحمد الطَّبرانيُّ ـ حقَّقه وخرَّج أحاديثه: حمدي عبد المجيد السَّلفيُّ ـ دار إحياء التُّراث العربيِّ ـ (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م).

٨٠ ـ **مُعجم المُؤلِّفين**: عُمر رضا كحَّالة ـ مُؤسَّسة الرِّسالة (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م).

٨١ ـ **مُعجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**: عبد الله بن عبد العزيز البكريُّ ـ تحقيق: مُصطفى السَّقَّا ـ عالم الكُتب (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الثَّالثة (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م).

٨٢ ـ **مُعجم مُصنَّفات الحنابلة من وفيَّات ٢٤١ ـ ١٤٢٠هـ**: الأُستاذ الدُّكتور/ عبد الله بن مُحمَّد الطُّريقيُّ ـ الطَّبعة الأُولى (١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م).

٨٣ ـ **مفتاح الطَّريق إلى سُلوك التَّحقيق**: أحمد بن إبراهيم الواسطيُّ المعروف بابن شيخ الحزَّاميِّين ـ تحقيق وتعليق: الدُّكتور/ وليد بن مُحمَّد بن عبد الله العليِّ ـ دار البشائر الإسلاميَّة (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م).

٨٤ ـ **مفتاح المعرفة والعبادة لأهل الطَّلب والإرادة الرَّاغبين في الدُّخول إلى دار السَّعادة من الطَّريقة المُحمَّديَّة التي ليست بمُنحرفةٍ عن الجادَّة**: أحمد بن إبراهيم الواسطيُّ المعروف بابن شيخ الحزَّاميِّين ـ تحقيق وتعليق: الدُّكتور/ وليد بن مُحمَّد بن عبد الله العليِّ ـ دار البشائر الإسلاميَّة (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م).

٨٥ ـ **مفتاح طريق الأولياء**: أحمد بن إبراهيم الواسطيُّ المعروف بابن شيخ الحزَّاميِّين ـ تحقيق: مُحمَّد بن ناصرٍ العجميِّ ـ دار البشائر الإسلاميَّة (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م).

٨٦ ـ **مفتاح طريق المُحبِّين وباب الأُنس بربِّ العالمين المُؤدِّي إلى أحوال المُقرَّبين**: أحمد بن إبراهيم الواسطيُّ المعروف بابن شيخ الحزَّاميِّين ـ تحقيق وتعليق: الدُّكتور/ وليد بن مُحمَّد بن عبد الله العليِّ ـ دار البشائر الإسلاميَّة (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م).

٨٧ ـ **المُقتفى على كتاب الرَّوضتيْن**: القاسم بن مُحمَّد البرزاليُّ ـ تحقيق: الأُستاذ الدُّكتور/ عُمر سُليمان تدمري ـ المكتبة العصريَّة (صيدا ـ بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م).

٨٨ ـ **المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد**: إبراهيم بن مُحمَّد بن مُفلح المقدسيُّ ـ تحقيق: الدُّكتور/ عبد الرَّحمن بن سُليمان العُثيمين ـ مكتبة الرُّشد (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م).

٨٩ ـ **المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد**: عبد الرَّحمن بن مُحمَّد العُليميُّ ـ تحقيق: جماعةٌ من المُحقِّقين، بإشراف: عبد القادر الأرناؤوط ـ دار صادر (بيروت/ لبنان)، توزيع مكتبة الرُّشد (الرِّياض/ المملكة العربيَّة السُّعوديَّة) ـ الطَّبعة الأُولى (١٩٩٧م).

٩٠ ـ **المنهل الصَّافي والمُستوفى بعد الوافي**: يُوسف بن تغري بردي الأتابكيُّ ـ تحقيق: الدُّكتور/ مُحمَّد مُحمَّد أمين ـ الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب (١٩٨٤م).

٩١ ـ **ميزان الحقِّ والضَّلال، في تفصيل أحوال النُّجباء والأبدال، وشرح كبر الجهلة من العمَّال، الذين عدموا علم التَّفصيل والإجمال**: أحمد بن إبراهيم الواسطيُّ المعروف بابن شيخ الحزَّاميِّين ـ تحقيق وتعليق: الدُّكتور/ وليد بن مُحمَّد بن عبد الله العليِّ ـ دار البشائر الإسلاميَّة (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م).

٩٢ ـ **ميزان الشُّيوخ**: أحمد بن إبراهيم الواسطيُّ المعروف بابن شيخ الحزَّاميِّين ـ تحقيق وتعليق: الدُّكتور/ وليد بن مُحمَّد بن عبد الله العليِّ ـ دار البشائر الإسلاميَّة (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الأُولى (١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م).

٩٣ ـ **النَّصيحة في صفات الرَّبِّ جلَّ وعلا**: أحمد بن إبراهيم الواسطيُّ المعروف بابن شيخ الحزَّاميِّين ـ تحقيق: زُهير الشَّاويش ـ المكتب الإسلاميُّ (بيروت/ لبنان) ـ الطَّبعة الرَّابعة (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م).

٩٤ ـ **نهاية الأرب في فُنون الأدب**: أحمد بن عبد الوهاب النُّوَيْرِيُّ ـ تحقيق: الدُّكتور/ الباز العريني ـ مُراجعة: الدُّكتور/ عبد العزيز الأهواني ـ الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب (١٤١٢هـ ـ ١٩٨٢م).

٩٥ ـ **هديَّة العارفين أسماء المُؤلِّفين وآثار المُصنِّفين**: إسماعيل باشا البغداديُّ ـ دار إحياء التُّراث العربيِّ (بيروت/ لبنان).

٩٦ ـ **الوافي بالوفيَّات**: خليل بن أيبك الصَّفديُّ ـ تحقيق: س. ديدرينغ ـ دار صادر (بيروت/ لبنان).

❑❑❑

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصَّفحة
* مُقدِّمة المُحقِّق	٣
* تعريفٌ بالمُؤلِّف	٧
اسمه ونسبه	٧
ولادته ونشأته	٩
مُعتقده ومسلكه	١١
مذهبه الفقهيُّ	١٤
ثناء العُلماء عليه	١٥
مُؤلَّفاته	١٧
نظمه	٢٤
وفاته	٢٥
* تعريفٌ بالمُؤلَّف	٢٧
رسائل المُؤلَّف (الثلاثة)	٢٧
نسبة المُؤلَّف للمُؤلِّف	٢٨
موضوع المُؤلَّف	٢٨
ـ الرسالة الأولى	٢٨
ـ الرسالة الثانية	٢٩
ـ الرسالة الثالثة	٣٠

مصدر المُؤلَّف ٣٢
نماذج صور من المخطوط ٣٤

الرِّسالة الأُولى:
تلقيح الأسرار بلوامع الأنوار للعُلماء الأبرار

مقدمة المؤلف، وفيها أهمية العلم وفضله ٤١
الفصل الأوَّل: إذا أراد الله بعبدٍ خيراً: أقام في قلبه باعثاً يطلب القُرْب منه وهمَّة تتعلَّق بمحبَّة مُشاهدته ٤٧
الفصل الثَّاني: تحصيل العلم ونشره، ودعوة الخلق إليه، لإعلاء كلمة الله وذكره، وإقامة الحق الذي هو دين الله على خاصَّة نفسه وأهله أوَّلاً، ثُمَّ على من أقدره الله عليه من الخلق ثانياً ٤٨
الفصل الثَّالث: تأمُّل النُّصوص الواردة عن الله تعالى وعن رسوله في صفاته المُقدَّسة ٤٩
الفصل الرَّابع: ضبط ألفاظ الكتاب والسُّنَّة وحلُّ معانيهما والوُقوف معهما بلا انحرافٍ عنهما ٥٠
الفصل الخامس: علامة العالم العارف أن ينشرح صدره بنُور الإيمان وتُفتح بصيرته لتأمُّل العرفان ٥١
الفصل السَّادس: حال المحجوب كحالِ محبوسٍ في بيتٍ مُظلمٍ يتصرَّف في حوائجه وشُؤونه كما يتقلَّب الأعمى في أُموره ٥١
الفصل السَّابع: الموهبة السَّنيَّة والمرتبة العليَّة عند الله والتي قصرت الهمم عن طلبها وعميت البصائر عن تصوُّرها وعظيم خطرها ٥٣
الفصل الثَّامن: من رزقه الله تعالى شوقاً إلى هذه الرُّتبة العالية؛ فعليه أن يعتمد خصالاً يكمل بها بعون الله أمرُه ويتمُّ بها سعيُه ٥٣
ـ الخصلة الأولى: النيَّة وإخلاصها وكمالها في تحصيل العلم ٥٣

- الخصلة الثانية: الاعتناء بمعرفة سيرة النبي ﷺ ٥٤
- الخصلة الثالثة: اقتران التفرغ للعلم بالتفرغ للإيمان ٥٦
- الخصلة الرابعة: القيام بما تعيَّن حقُّ الله تعالى به ٥٨
- الخصلة الخامسة: الاعتنار بالاقتداء بالرسول ﷺ ٦٢
- الخصلة السادسة: الاعتناء بالدعاء والتضرع ٦٤
- الخصلة السابعة: الاعتناء بالورع وعدم إهمال حاله ٦٤

الرِّسالة الثَّانية:
حياة القُلُوب وعمارة الأنفاس
في سُلُوك الأذكياء الأكياس

* مقدمة المؤلِّف ٧١
الفصل الأوَّل: أنَّ نبيَّنا مُحمَّداً ﷺ بعثه الله تعالى على فترةٍ من الرُّسل شهدت الفطرة الصَّحيحة بصدق نُبوَّته وذلك لأُمورٍ غير المُعجزات الخارقة للعوائد التي تواتر النَّقل بها عن غير واحدٍ ٧٥
الفصل الثَّاني: تأمَّل كُتب السُّنَّة والحديث واختلاف رُواتها وشُيوعهم في الأمصار والبُلدان والآفاق في شرق الأرض وغربها، وكيفيَّة اتِّفاقهم على هذه الأُصول ٨٨

الرِّسالة الثَّالثة:
عُمْدَةُ الطُّلابِ مِنْ مُؤْمِنِي أَهْلِ الكِتَابِ
المُشْتَاقِينَ إِلَى ذَوْقِ الأَحْبَابِ الرَّاغِبِينَ
فِي رُسُوخِ دِيْنِ الإِسْلامِ فِي السَّرَائِرِ والأَلْبَابِ

* مقدمة المؤلِّف وفيها أهمية حبِّ الرسول ﷺ وطاعته ٩٣
- العلم بمعجزاته ﷺ والإيمان بها مع ذكر بعضها ١٠٣

الفصل الأوَّل: ليعلم المُؤمن أنَّ هذا الدِّين له ظاهرٌ وباطنٌ، وصوانٌ ولُبابٌ، وأساسٌ وذِروةٌ؛ فالمُوفَّق من لم يقنع من هذا الدِّين بظاهره حتَّى يتحقَّق بحقائق أسراره وباطنه ١٢٠

الفصل الثَّاني: من أراد تحقيق هذا الدِّين والوُصول إلى ذوق المُحبِّين فعليه في أوَّل الأمر إخلاص النِّيَّة وتصفيتها من الشَّوائب فإنَّ الأعمال بالنِّيَّات ولكُلِّ امرئٍ ما نوى ١٢٠

الفصل الثَّالث: على العلم يترتَّب العمل وعليهما ترتقي مباني العُبوديَّة التي من وصل إليها استقرَّ دينه وقوي تمكينه وطلعت عليه شُموس العرفان وبزغت في سرِّه أقمار الإيقان ١٢٢

الفصل الرَّابع: من صحَّح النِّيَّة في الابتداء وأتقن العلم في التَّوسُّط فعليه حينئذٍ التَّكميل بالعمل ١٢٧

الفصل الخامس: إذا وفَّق الله العبد لتصحيح النِّيَّة في القُصُود وتحصيل العُلوم النَّافعة لمُعاملة المعبود واستعمال الجوارح بالمأمورات وذبِّها عن المُخالفات استقام العبد على سواء السَّبيل ولا يتمُّ ذلك إلَّا بالاستعانة بالله تعالى والصَّبر ١٣٣

الفصل السَّادس: ليعلم أنَّ أهمَّ مسألةٍ في الاعتقاد الإيمان بمسألة العرش وتحقيقها علماً وتصديقاً لأنَّها أصلٌ من أُصول السَّالكين السَّائرين إلى طريق قُرب ربِّ العالمين ١٣٦

الفصل السَّابع: أكمل أسباب الاستعداد لهذا الشَّأن امتلاء القلب بحُبِّ الرَّسول ﷺ بحيث يجعله السَّالكُ إمامَه ومتبوعَه في كُلِّ شيءٍ يراه بعين قلبه ويُصغي إلى أوامره عند حركاته وسكناته ١٣٩

الفصل الثَّامن: ليعلم العبد أنَّه إذا دخل في هذا المنزل فقد ولج في ملكوت السَّماوات وفارق أهل الأرض من أكثر الوُجوه ودخل في عوالم الآخرة فقلبه عند ربِّه في الدَّار الآخرة وجسده بين أهل الأرض في الدُّنيا ١٤٤

الفصل التَّاسع: لا بُدَّ لطالب الحقائق الذَّوقيَّات مع قطع العلائق من وقتٍ يخلو فيه بربِّه ويجمع همَّه على صفا ذكره ليتوحَّد قصده ويصفو قلبه ١٤٥
الفصل العاشر: توخِّي الأوقات الفاضلة مثل الثُّلث الأخير من اللَّيل ويوم الجُمعة عند اجتماع النَّاس إلى انقضاء الصَّلاة ويوم عرفة وأوقات الصَّلوات الخمس ١٤٧
الفصل الحادي عشر: إذا ظهر للقلب صفة الرُّبوبيَّة فعند ذلك يستسلم العبد له حقيقة الاستسلام ويُفوِّض إلى ربِّه في المقادير والأحكام ١٤٩
الفصل الثَّاني عشر: قُوَّة المعرفة وزيادة المحبَّة والتَّعظيم والابتهاج بالرَّبِّ الكريم وبقُربه ومُلاطفاته وقبضه وبسطه وتصرُّفه بما يشاء من الاصطناع والمحبَّة الخاصَّة ١٥٠
الفصل الثَّالث عشر: جميع ما شُرح من الأنوار والمعارف هي مَثَلٌ يقوم بقُلوبهم من أمثلة العظمة ١٥٣
الفصل الرَّابع عشر: اعتقاد أهل السُّنَّة أنَّ الرَّبَّ تعالى فوق عرشه بائنٌ من خلقه ١٥٥
* **الخاتمة** ١٥٦
فهرس المراجع والمصادر العلميَّة ١٥٧
فهرس الموضوعات ١٧١

❑❑❑